

فَتْحُ الْوَهَّابِ

فِي أَحَادِيثِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ

الدكتور

أحمد بدوى مازن

مدرس الحديث وعلوم السنة

كلية التربية - جامعة الأزهر

الجزء الأول

3



Ψ

الحمد لله رب العالمين الذى خَلَقَ كل شيء وقدره، وأنزل الكتاب وسَطَّرَه، فلا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ ولا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَهُ {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (1).

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الناطق بالصدق والصواب، والذى آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والآل والأصحاب، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد ...

فإن السنة المطهرة هى الأصل الثانى فى التشريع الإسلامى بعد كتاب الله ﷻ، فهى الشارحة للقرآن الكريم والمبينة والمفسرة له، فتزيل مشكله، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه. وقد قال الله ﷻ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (2). فكان ﷺ مبيناً للكتاب العزيز بأقواله، وأفعاله، وتقريراته، بأسلوب واضح مبين. وقام ﷺ بتقويم السلوكيات الخاطئة، ونزع العصبية القبلية، وتربية الأمة على الآداب الربانية التى جعلتهم خير أمة أخرجت للناس.

ووضح الله ﷻ نعمته علينا بإرسال رسوله ﷺ الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور فقال ﷻ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (3).

(1) سورة فاطر الآية 2

(2) سورة النحل من الآية 44

(3) سورة آل عمران الآية 164

أَي لَيْسَتْ نِعْمَةٌ إِرْسَالِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِمْ قَاصِرَةٌ عَلَى رَفْعِ النَّفَائِصِ عَنْهُمْ وَعَلَى تَحْلِيَّتِهِمْ بِكَمَالِ عِلْمِ آيَاتِ اللَّهِ وَزَكَاةِ أَنْفُسِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ بَلْ هِيَ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ إِذْ كَانَتْ مُنْقِذَةً لَهُمْ مِنْ ضَلَالٍ مُبِينٍ كَانُوا فِيهِ وَهُوَ ضَلَالٌ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ⁽¹⁾.

ومن أهم سمات الشخصية الإسلامية التحلى بالآداب النبوية، من حسن الخلق، ومكارم الأخلاق، وحفظ الحقوق، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ومراعاة مشاعر الآخرين، وغير ذلك مما اشتملت عليه السنة المباركة.

والإسلام دين كامل في تشريعاته وأحكامه وآدابه، كما أن آداب الإسلام شاملة لجميع مناحي الحياة المادية والنفسية والروحية والاجتماعية، وهذه الآداب تنظم حياة المسلم في علاقته مع ربه ﷻ، ومع النبي ﷺ، ومع نفسه، ومع إخوانه المؤمنين. تلك الآداب النبوية العظيمة تنظم حياة المسلم في جميع شئونه، وتجعل خصال الخير مجتمعة في قلبه، فتصلح له دنياه وآخرته.

قال الحافظ ابن حجر **p**: وَالْأَدَبُ اسْتِعْمَالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وَفِعْلًا. وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنْهُ بِأَنَّهُ الْأَخْذُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَقِيلَ: الْوُقُوفُ مَعَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، وَقِيلَ: هُوَ تَعْظِيمُ مَنْ فَوْقَكَ وَالرَّفْقُ بِمَنْ دُونَكَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الطَّعَامِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُدْعَى إِلَيْهِ⁽²⁾.

وقال المناوي **p**: وقالوا: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب؛ لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله وقالوا: زك قلبك بالأدب كما تركى

(1) التحرير والتنوير 210/28

(2) فتح الباري لابن حجر 400/10

النار بالخطب وحسن الأدب يستر قبيح النسب. وقال في العوارف: بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصلح العمل وبالعَمَل تُنال الحكمة⁽¹⁾.

وكل الآداب والفضائل والشمائل الحسنة كانت مطبقة تطبيقاً عملياً في رسول الله ﷺ فهو الذي حول منهج الشريعة الغراء إلى واقعاً ملموساً في حياة الناس، عن سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ 1 فَقَالَتْ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»⁽²⁾.

ولقد قبض الله ﷻ بفضله وكرمه لحفظ السنة المباركة رجالاً حُفَظًا عارفين، وجهابذة متقنين، وصيارفةً ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتفرغوا لها، وأفنوا أعمارهم في تحصيلها، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره.

ومن جُهودُ المحدّثين في حفظ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المباركة أنهم جمعوا في مصنفاتهم أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتوجيهاته حول البر والصلة والآداب، وعكف العلماء على شرحها، واستنباط الآداب النبوية منها، فأردت أن اقتفى أثرهم، وأن أسلك طريقتهم، وأجمع من أقوالهم الجواهر الثمينة، والدرر المكنونة، والمواقف الفريدة، والمواعظ الجليلة، فكان هذا الكتاب (فَتْحُ الْوَهَّابِ فِي الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ) ضمنته طائفة من أحاديث الآداب، مما تمس الحاجة إلى معرفته من مائدة السنة المباركة، وتحريّت الدقة في اختيار مادته العلمية في موضوعه، ناقلاً أقوال المحققين من أئمة المحدّثين، والعلماء الجهابذة المتبحرين، وقمت بنقل أقوالهم حول تفسير الغريب من كلماته، وبيان سبب الحديث، مع شرح الحديث شرحاً إجمالياً أولاً، ثم

(1) فيض القدير 1/ 224

(2) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل 512/1 ح 139

يأتي بعد ذلك الشرح التفصيلي لكل عبارة من النص الشريف، مبيِّناً أحكامه، وما يستفاد منه من إشارات وتوجيهات، وقدمت بين يدي هذا الكتاب بتمهيد ذكرت فيه تعريف السنة المطهرة لغة وفي اصطلاح المحدثين، وذكرت فيه بعضاً من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب الحديث الشريف، والآداب التي يتحلى بها المحدث من إجلال وتعظيم لحديث رسول الله ﷺ.

ثم عنونت لهذه الأحاديث على النحو الآتي:

1- النَّهْيُ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا وَأُورِدَتْ فِيهِ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجَرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ».

2- الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ وَأُورِدَتْ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

3- فَضْلُ الرَّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَانَةِ وَأُورِدَتْ فِيهِ حَدِيثُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

4- فَضْلُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ وَأُورِدَتْ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

5- النَّهْيُ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسَّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ وَأُورِدَتْ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

6- فَضَّلُ عِيَادَةَ الْمَرِيضِ أوردت فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ ... الحديث.

والله ﻻ يسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله نورًا وهديًا لكل من نظر فيه، وأن يفيض الله تعالى علينا من رحمته، ومن أنوار نبيه ﷺ، وأن يشفعه فينا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} (1).

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

أحمد بدوي مازن



السُّنَّةُ لغة: تعنى الطريقة والسيرة المعتادة للإنسان، سواء كانت حسنة أو قبيحة، قال لبيد:

من مَعْشَرٍ سَنَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا
وفي الكتاب العزيز: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ
إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا} (1).

وخصها بعضهم بالطريقة الحسنة.

قال أبو بكر الأنباري: السُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ.
وَلِذَلِكَ قِيلَ: فَلَانٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، مَعْنَاهُ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمَحْمُودَةِ،
وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّنَنِ وَهُوَ الطَّرِيقُ، يُقَالُ: خَذَ عَلَى سَنَنِ الطَّرِيقِ أَيْ: عَلَى وَسْطِهِ
وَجَادَّتِهِ.

والسُّنَّةُ أَيْضًا: سُنَّةُ الْوَجْهِ. والحديدةُ الَّتِي يُحْرَثُ بِهَا الْأَرْضُ يُقَالُ لَهَا: السِّنَّةُ
وَالسِّنَّةُ وَجْمَعُهَا السِّنَنُ (2).

قال الراغب: وَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ طَرِيقَتُهُ الَّتِي كَانَ يَتَحَرَّاهَا.
وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى: قَدْ تَقَالُ لَطَرِيقَةِ حِكْمَتِهِ، وَطَرِيقَةِ طَاعَتِهِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى:
{سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (3).

(1) سورة الكهف الآية 55

(2) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض 223/2 والزاھر في معاني كلمات الناس لأبي بكر
الأنباري 339/2 وتهذيب اللغة 212/12 ولسان العرب 226/13

(3) الآية 23 من سورة الفتح، وانظر: المفردات في غريب القرآن 429/1

السُّنَّةُ اصطلاحاً: هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، وسيره ومغازيه وبعض أخباره قبل البعثة أو بعدها، مثل تحنثه -أى تعبدته- في غار حراء، ومثل حسن سيرته؛ لأن الحال يستفاد منها ما كان عليه من كريم الأخلاق ومحاسن الأفعال؛، وأنه عُرف بالصدق والأمانة، وما إلى ذلك من صفات الخير وحسن الخلق.

والسنة بهذا المعنى مرادفه للحديث النبوى عندهم.

وقال الإمام السيوطى ρ: هِيَ عِلْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى نَقْلِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالِهِ، وَرَوَايَتِهَا، وَضَبْطُهَا، وَتَحْرِيرِ أَلْفَظِهَا⁽¹⁾.

(1) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى 25/1 وقواعد التحديث للقاسمى 64/1

مَعْرِفَةُ آدَابِ طَالِبِ الْحَدِيثِ

مما ينبغي العناية به، ورفع الهمة إليه لطالب الحديث، العناية بآداب وأخلاق طالب الحديث خاصة، والعلم عامة، وقد نص على ذلك غير واحد من أئمة الحديث والهدى في كتبهم، لأن طالب الحديث بدونها لا خير فيه، ولا بركة في علمه، ومن أهم الآداب التي ينبغي على طالب الحديث أن يتحلى بها:

أولاً: يجب عليه إخلاص النية لله ﷻ فيما يحاوله من طلبه لهذا العلم، ولا يكن قصده عرضاً من الدنيا، فَمَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِلْمَكَاثِرَةِ، أَوِ الْمَفَاخِرَةِ، أَوِ لِيُرَوَى، أَوِ لِيَتَنَاوَلَ الْوُظَائِفَ، أَوِ لِيُثْقَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ: فَقَدْ خَسِرَ. وَإِنْ طَلَبَهُ اللَّهُ، وَلِلْعَمَلِ بِهِ، وَلِلْقُرْبَةِ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَلِنَفْعِ النَّاسِ: فَقَدْ فَازَ. وَإِنْ كَانَتِ النِّيَّةُ مَمْرُوجَةً بِالْأَمْرَيْنِ: فَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ⁽¹⁾.

قال ابن الصلاح **p**: فَأَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَحْقِيقُ الْإِخْلَاصِ، وَالْحَذَرُ مِنْ أَنْ يَتَّخِذَهُ وَصْلَةً إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ. رَوَيْنَا عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِ اللَّهِ مُكْرَبَ بِهِ. وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: مَا أَعْلَمَ عَمَلًا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْحَدِيثِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ. وَلَيْسَ أَلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى التَّيْسِيرَ، وَالتَّأْيِيدَ، وَالتَّوْفِيقَ، وَالتَّسْدِيدَ، وَلِيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالْأَخْلَاقِ الزُّكِّيَّةِ، وَالْآدَابِ الْمَرْضِيَّةِ، فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَبِي عَاصِمٍ النَّبِيلِ قَالَ: مَنْ طَلَبَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى أُمُورِ الدِّينِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ⁽²⁾.

ثانياً: ويعظم شَيْخُهُ، ويتوكل رِضَاهُ، ويحسن التَّوَصُّلَ إِلَى الاستفادة، ويراجعه، ويصبر على خلقه، وَلَا يَضْجَرُهُ. ويبتدئ بمشايخ بلدته الأمثل فالأمثل، ثمَّ الرحلة

(1) الموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي 65/1

(2) مقدمة ابن الصلاح 245/1 والباعث الحثيث 157/1

الْأَقْرَبَ فَلَا قُرْبَ، وَلَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ عَنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، وَالْكِبَرُ عَلَى مَنْ دُونِهِ. وَيَبْتَدِئُ
بِالصَّحِيحِينَ ثُمَّ بِالسَّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ رحمته الله: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ
الْبَلَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِرَحْلَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ (1).

ثالثاً: وينبغي له أن يستعمل ما يمكنه من فضائل الأعمال الواردة في
الحديث. كان بشر بن الحارث الخافي يقول: يا أصحاب الحديث أدوا زكاة الحديث،
من كل مائتي حديث خمسة أحاديث. وقال عمرو بن قيس الملائي: إذا بلغك شيء
من الخير فاعمل به ولو مرة، تكن من أهله. وقال وكيع: إذا أردت حفظ الحديث
فاعمل به (2).

رابعاً: وليفد غيره من طلاب العلم، ولا يكتفم شيئاً من العلم، ولا من كتب
المسموعات فقد جاء الزجر عن ذلك. قال الإمام السخاوي رحمته الله: وَكَذَا اجْتَنِبْ مَنَعَ
غَارِبَةِ الْجُزْءِ أَوْ الْكِتَابِ الْمَسْمُوعِ لِلْقِرَاءَةِ فِيهِ أَوْ السَّمَاعِ وَالْكِتَابَةِ مِنْهُ، لَا سِيَّمَا
حَيْثُ لَمْ تَتَعَدَّدْ نُسَخُهُ؛ فَإِنَّهَا تَتَأَكَّدُ؛ لِقَوْلِهِ رحمته الله: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ الْجَمُّ بِلِجَامٍ
مِنْ نَارٍ» (3).

وعن ابْنِ الصَّلَاحِ رحمته الله أَنَّهُ قَالَ: قَدْ رَأَيْنَا أَقْوَامًا مَنَعُوا هَذَا السَّمَاعَ، فَوَاللَّهِ مَا
أَفْلَحُوا وَلَا أَجْحُوا.
وَنَحْوُهُ قَوْلُ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ أَيْضًا: وَلَقَدْ شَاهَدْنَا جَمَاعَةً كَانُوا يَسْتَأْثِرُونَ بِالسَّمَاعِ،
وَيُخْفُونَ الشُّيُوخَ، وَيَمْنَعُونَ الْأَجْزَاءَ وَالْكِتَابَ عَنِ الطَّلَبَةِ، فَحَرَمَهُمُ اللَّهُ قُصْدَهُمْ،
وَذَهَبُوا وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِشَيْءٍ.

(1) رسوم التحديث في علوم الحديث لبرهان الدين الجعفرى 97/1

(2) فتح المغيب 157/1 و158

(3) رواه أبو داود في كتاب العلم باب كراهية منع العلم 321/3 ح 3658 والترمذى في كتاب العلم باب
ما جاء في كتمان العلم 29/5 ح 2649 وقال الترمذى: وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَحَدِيثُ
أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَدْ قَالَ وَكِيعٌ: أَوَّلُ بَرَكَةِ الْحَدِيثِ إِعَارَةُ الْكُتُبِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكْتُمَ عَمَّنْ لَمْ يَرَهُ أَهْلًا، أَوْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا يَقْبَلُ الصَّوَابَ إِذَا أُرْشِدَ إِلَيْهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَهُ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

خامسًا: ولا يكن ممن يمنعه الحياء أو الكبر عن كثير من الطلب وسؤال العلماء. عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال: لا يتعلم مستحي ولا مستكبر و عن عمر بن الخطاب وابنه K أنهما قالوا: من رق وجهه رق علمه. ولا يأنف من أن يكتب عمن دونه ما يستفيده منه قالوا: ولا يستكف أن يكتب عمن هو دونه في الرواية والدراية. قال وكيع p: لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ حَتَّى يَكْتُبَ عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُ وَعَمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَعَمَّنْ هُوَ دُونَهُ⁽¹⁾.

سادسًا: وليكن كلما مر به أمر مُشكل أو كلمة من حديث مشكلة بحث عنها وأودعها قلبه فإنه يجتمع له بذلك علم كثير في يسير. وليكن تحفظه للحديث على التدرج قليلا قليلا فذلك أخرى بأن يمتنع بمحفوظه وممن ورد ذلك عنه شعبة وابن علية ومعمر. وَقَالَ الرَّهْرِيُّ: من طلب العلم جملة فاتته جملة. وليكن الإتقان من شأنه، فقد قال ابن مهدي: الحِفْظُ الإِتْقَانُ⁽²⁾.

(1) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح لبرهان الدين الأبناسي 402/1

(2) المقنع في علوم الحديث لابن الملقن 415/1

مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُحَدِّثِ

قال ابن الصلاح **p**: عِلْمُ الْحَدِيثِ عِلْمٌ شَرِيفٌ، يُنَاسِبُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنَ الشَّيَمِ، وَيُنَافِرُ مَسَاوِيَ الْأَخْلَاقِ، وَمَشَايِنَ الشَّيَمِ، وَهُوَ مِنْ عُلُومِ الْآخِرَةِ لَا مِنْ عُلُومِ الدُّنْيَا. فَمَنْ أَرَادَ التَّصَدِّي لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ، أَوْ لِإِفَادَةِ شَيْءٍ مِنْ عُلُومِهِ، فَلْيَقْدِّمْ تَصْحِيحَ النَّيَّةِ وَإِخْلَاصَهَا، وَلْيُطَهِّرْ قَلْبَهُ مِنَ الْأَعْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَأَدْنَاهَا، وَلْيَحْذَرْ بَلِيَّةَ حُبِّ الرِّيَاسَةِ، وَرُغُونَاتِهَا⁽¹⁾.

وقال النووي **p**: ويستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن يتطهر ويتطيب ويسرح لحيته ويجلس متمكناً بوقار، فإن رفع أحد صوته زبره، ويقبل على الحاضرين كلهم، ويفتح مجلسه ويختتمه بتحميد الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، ودعاء يليق بالحال، بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم، ولا يسرد الحديث سرّاً يمنع فهم بعضه، والله أعلم⁽²⁾.

وكلما ذكر النبي ﷺ يُكثر من الصلاة عليه ويرفع صوته بالصلاة عليه، قال الخطيب: ويرفع به صوته وإذا ذكر صحابياً يقول ﷺ، فإن كان ابن صحابي قال **K**، وبحسن بالحدث الثناء على شيخه حال الرواية بما هو أهله كما فعله جماعات من السلف، وليعتن بالدعاء له فهو أهم.

قال ابن دقيق العيد ﷺ: وَمَنْ أَحْسَنَ مَا يَقْصَدُ فِي هَذَا الْعِلْمِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: التَّعَبُّدُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، كُلَّمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ وَيَحْتَاجُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَقْصُوداً عِنْدَ اللَّفْظِ بِهِ وَلَا يَخْرُجُ عَلَى وَجْهِ الْعَادَةِ.

(1) مقدمة ابن الصلاح 1/ 236

(2) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي 80/1

وَالثَّانِي: قَصْدُ الْإِنْتِفَاعِ وَالنَّفْعِ لِلْغَيْرِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَقَدْ اسْتَكْثَرَ كَثْرَةَ الْكِتَابَةِ مِنْهُ لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي فِيهَا نَجَاتِي لَمْ أَسْمَعْهَا إِلَى الْآنِ.
وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي تَبْلِيغِ الْعِلْمِ مِنَ الْأَجُورِ لَا سِيَّمَا وَبِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ يَدْخُلُ الرَّاَوِي فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ قَالَ نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ﷺ (1).

قال الإمام الذهبي p: وَمِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يُحَدِّثَ مَعَ وَجُودِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ، لِسِنِّهِ وَإِتْقَانِهِ. وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِشَيْءٍ يَرُويهِ غَيْرُهُ أَعْلَى مِنْهُ. وَأَنْ لَا يَغُشَّ الْمُبْتَدِئِينَ، بَلْ يَدُلَّهُمْ عَلَى الْمُهِّمِّ، فَالَّذِينَ النَّصِيحَةُ. فَإِنْ دَلَّهُمْ عَلَى مُعَمَّرٍ عَامِيٍّ، وَعَلِمَ قُصُورَهُمْ فِي إِقَامَةِ مَرْوِيَّاتِ الْعَامِيٍّ، نَصَحَهُمْ وَدَلَّهُمْ عَلَى عَارِفٍ يَسْمَعُونَ بِقِرَاءَتِهِ، أَوْ حَضَرَ مَعَ الْعَامِيٍّ وَرَوَى بِنُزُولٍ، جَمَعَ بَيْنَ الْفَوَائِدِ.

وَرَوَى أَنَّ مَالِكًا p كَانَ يَغْتَسِلُ لِلتَّحْدِيثِ، وَيَتَبَخَّرُ، وَيَتَطَيَّبُ، وَيَلْبَسُ ثِيَابَهُ الْحَسَنَةَ، وَيَلْزِمُ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ، وَيَزْبُرُ مَنْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَيُرْتَلُ الْحَدِيثُ.
قال: وَلِيَجْتَنِبَ رَوَايَةَ الْمَشْكَلَاتِ، مِمَّا لَا تَحْمِلُهُ قُلُوبُ الْعَامَّةِ. فَإِنْ رَوَى ذَلِكَ، فَلْيَكُنْ فِي مَجَالِسٍ خَاصَةٍ. وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ رَوَايَةُ الْمَوْضُوعِ، وَرَوَايَةُ الْمَطْرُوحِ، إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ لِيَحْذَرُوهُ (2).

وقال حجة الإسلام العزالي p: مِنْ آدَابِ الْمَحْدَثِ: يَقْصِدُ الصَّدَقَ وَيَجْتَنِبُ الْكَذِبَ وَيَحْدِثُ بِالْمَشْهُورِ، وَيُرَوِّى عَنِ الثَّقَاتِ وَيَتْرَكُ الْمَنَاقِيرَ وَلَا يَذْكُرُ مَا جَرَى بَيْنَ السَّلَفِ، وَيَعْرِفُ الزَّمَانَ وَيَتَحَفَظُ مِنَ الزَّلَلِ وَالتَّصْحِيفِ وَاللَّحْنِ وَالتَّحْرِيفِ وَيَدَعِ الْمَدَاعِبَةَ وَيَقْلُ الْمَشَاغِبَةَ وَيَشْكُرُ النِّعْمَةَ إِذْ جَعَلَ فِي دَرَجَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

(1) الاقتراح في بيان الاصطلاح 34/1

(2) الموقظة في علم مصطلح الحديث 67/1

ويلزم التواضع ويكون معظم ما يحدث به ما ينتفع المسلمون به من فرائضهم
وسننهم وآدابهم في معاني كتاب ربهم ﷻ، ولا يحمل علمه إلى الوزراء ولا يغشى
أبواب الأمراء فإن ذلك يزرى بالعلماء، ويذهب بجاء علمهم إذا حملوه إلى ملوكهم
ومياسيرهم ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ولا يقرأ عليه ما لا يراه في كتابه ولا
يتحدث إذا قرئ عليه، ويحذر أن يدخل حديثاً في حديث⁽¹⁾.
والله تعالى أعلم.

(1) الأدب في الدين 5/1 للغزالي وقواعد التحديث للقاسمي 233/1

الحديث الأول

النهي عن لعن الدواب وغيرها

روى الإمام مسلم بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقه، فضجرت فلعننها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة» قال عمران: فكأنني أراها الآن تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد⁽¹⁾.

الراوى الأعلى للحديث:

الصحابي الجليل الإمام القدوة عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد ثم بن سالم بن عاصرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الكعبي.

يكنى أبا نجيد بابه نجيد بن عمران. أسلم هو وأبوه وأبو هريرة رضي الله عنهم عام خير سنة سبع، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، وكان صاحب راية خراعة يوم الفتح، قاله ابن البرقي. وكان ينزل ببلاد قومه، ويردد إلى المدينة. وكان أبيض الرأس واللحية.

بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفتي أهل البصرة، قال يحيى بن سعيد القطان: ما قدم علينا البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ أقول بالحق من أبي بكر ولا أفضل فضلاً من عمران بن حصين، تسلم عليه الملائكة من جوانب بيته. وقال محمد بن سيرين: أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ﷺ عمران بن حصين، وأبو بكر K.

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب النهي عن لعن الدواب 2004/4 ح 80

وقال خليفة: استقضى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة، فأقام قاضيا يسيرا، ثم استعفى فأعفاه. إبراهيم بن عطاء مولى عمران، عن أبيه: أن عمران قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيت على بجور، وما ألوت. قال: وكيف؟

قال: شهد على بزور.

قال: فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبدا.

وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، يقول عنه أهل البصرة: إنه كان يرى الحفظة، وكانت تكلمه حتى اكتوى، وكان يلبس الحر، وداره في سكة إصطفانوس بالبصرة.

وكان مجاب الدعوة، وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي، عن أبي قتادة: قال لي عمران بن حصين: الزم مسجداك. قلت: فإن دخل علي؟ قال: الزم بيتك. قلت: فإن دخل علي؟ قال: لو دخل على رجل يريد نفسي ومالي، لرأيت أن قد حل لي أن أقتله.

عن إبراهيم بن عطاء مولى عمران بن الحصين عن أبيه قال: كان خاتم عمران بن الحصين نقشه تمثال رجل متقلد السيف.

روى عن: النبي ﷺ، وعن معقل بن يسار. وروى عنه: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وابنه نجيد بن عمران بن حصين، وجماعة من تابعي أهل البصرة والكوفة. مسنده: مائة وثمانون حديثا اتفق الشيوخ له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بتسع.

وكان مدافعا عن السنة المباركة شديد التمسك بها، عن الحسن قال: ينما نحن عند عمران بن حصين ﷺ إذ قال له رجل يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن قال أليس تقرأ القرآن أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أكنتم تعرفون مواقيتها وزكوعها وسجودها

وَحُدُودَهَا أَكُنْتَ تَدْرِي كَيْمَ الرِّكَاءُ فِي الْوَرَقِ وَالذَّهَبِ وَالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَأَصْنَافِ الْمَالِ
شَهِدْتُ وَوَعَيْتُ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّكَاءَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ الرَّجُلُ أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ
اللَّهُ أَبَا نُجَيْدٍ قَالَ فَمَا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى صَارَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَيَّ عَنِ الْكَيِّ. قَالَ
عِمْرَانُ ﷺ: فَكَتَوَيْنَا فَمَا أَفْلَحْنَا وَلَا أُنْجَحْنَا. وَكَانَ فِي مَرَضِهِ تَسْلَمُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ،
فَاكْتَوَى فَفَقَدَ التَّسْلِيمَ ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهِ، عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ
أَشَعَرْتَ أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فَلَمَّا أَكْتَوَيْتُ انْقَطَعَ التَّسْلِيمُ؟ فَقُلْتُ: أَمِنْ قَبْلِ رَأْسِكَ
كَانَ يَأْتِيكَ التَّسْلِيمُ أَوْ مِنْ قَبْلِ رَجُلَيْكَ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِنْ قَبْلِ رَأْسِي. فَقُلْتُ لَا أَرَى
أَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَعُودَ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي: أَشَعَرْتَ أَنَّ التَّسْلِيمَ عَادَ
لِي؟ قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ.

وَكَانَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ، فَطَالَ بِهِ سِنِينَ كَثِيرَةً، وَهُوَ صَابِرٌ عَلَيْهِ، وَشَقَّ بَطْنُهُ وَأَخَذَ مِنْهُ
شَحْمٌ، وَثَقَبَ لَهُ سَرِيرٌ فَبَقِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ،
وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي مِنْ عِيَادَتِكَ مَا أَرَى بِكَ! فَقَالَ: يَا بَنُ أَخِي، لَا تَجْلِسْ، فَوَاللَّهِ إِنْ
أَحَبَّ ذَلِكَ إِلَيَّ أَحَبَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَوْصَى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ فَقَالَ: إِذَا مِتُّ فَخَرِّجْتُمُ بِي
فَاسْرِعُوا الْمَشْيَ وَلَا تَهَوِّدُوا بِي كَمَا تَهَوِّدُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. وَلَا تُتْبِعُونِي نَارًا وَلَا
صَوْتًا. قَالَ: وَكَانَ أَوْصَى لِأَمْهَاتِ الْأَوْلَادِ لَهُ بَوْصَايَا. فَقَالَ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَرَحْتَ
عَلَيَّ فَلَا وَصِيَّةَ لَهَا. مَاتَ ﷺ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بِالْبَصْرَةِ سَنَةً ثَنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَقِيلَ ثَلَاثَ
وَخَمْسِينَ وَلَهُ عَقَبٌ بِالْبَصْرَةِ ﷺ⁽¹⁾.

(1) ترجمته ﷺ في الطبقات الكبرى لابن سعد 215/4 والإصابة 584/4 وسير أعلام النبلاء 508/2 وأسد
الغابة 269/4 والاستيعاب 1208/3 والطبقات لخليفة بن خياط 179/1 ومعرفة الصحابة لأبي نعيم

معاني المفردات:

(فَضَجَرْتُ): الضَّجَرُ هو قَلَقٌ مِنْ غَمٍّ وَضِيقٍ نَفْسٍ مَعَ كَلَامٍ، وَقَدْ ضَجَرَ مَنْ كَذَا وَتَضَجَّرَ مِنْهُ وَأَضَجَرَهُ غَيْرُهُ أَيْ: تَبَرَّمَ، وَقَوْلُهُمْ: فَلَانٌ ضَجِرٌ: معناه ضَيِّقُ النَّفْسِ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: مَكَانٌ ضَجِرٌ إِذَا كَانَ ضَيِّقًا. وَنَاقَةٌ ضَجُورٌ وَهِيَ الَّتِي تَرَعُو عِنْدَ الْحَلْبِ. وَفِي الْمَثَلِ: قَدْ تَحَلَّبَ الضَّجُورُ الْعُلْبَةَ أَيْ قَدْ تُصِيبُ اللَّيْنَ مِنَ السَّيِّئِ الْخُلُقِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَنْ أَمَثَلَهُمْ فِي الْبَخِيلِ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الْمَالُ عَلَى بُخْلِهِ: إِنْ الضَّجُورُ قَدْ تَحَلَّبَ أَيْ إِنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ مِنْوعًا فَقَدْ يُنَالُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ كَمَا أَنَّ النَّاقَةَ الضَّجُورَ قَدْ يُنَالُ مِنْ لَبْنِهَا⁽¹⁾.

(مَلْعُونَةٌ): أصل اللعن هو الطرد والإبعاد، يقال: لعنه الله: أى طرده وأبعده من الخير فهو ملعون، ومنه قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}.

قَالَ الرَّمَّحَشَرِيُّ: وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ هِيَ كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا كَرِهَهَا وَلَعَنَهَا. وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ طَعَامٍ ضَارٍّ مَلْعُونٌ، وَرَجُلٌ (لُعْنَةٌ) يَلْعَنُ النَّاسَ كَثِيرًا وَ(لُعْنَةٌ) بِالسُّكُونِ يَلْعَنُهُ النَّاسُ⁽²⁾.

(مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ): أَيْ لَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ، وَعَرَضَ عَارِضٌ، أَيْ حَالَ حَائِلٌ وَمَنَعَ مَانِعٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ: لَا تَعْرِضْ لِفُلَانٍ، أَيْ لَا تَعْرِضْ لَهُ بِمَنَعِكَ بَاغْتِرَاضِكَ أَنْ يَقْصِدَ مُرَادَهُ، وَيَذْهَبَ مَذْهَبَهُ. وَ(الْعَارِضُ) مَا اغْتَرَضَ فِي الْأَفَقِ فَسَدَهُ مِنْ جَرَادٍ أَوْ نَحْلٍ وَالسَّحَابِ الْمَطْلُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا}⁽³⁾.

(1) لسان العرب 4/481 وتهذيب اللغة 10/294

(2) المعجم الوسيط 2/829 ومختار الصحاح 1/238 والمصباح المنير 2/554

(3) تاج العروس 18/427 والمعجم الوسيط 2/594

المعنى العام للحديث:

تمتع النبي ﷺ بخصال حميدة، فكملة ربه وأدبه وأحسن تأديبه وقال له ﷺ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (1) وكان من كمال خلقه ﷺ أنه لم يفعل فعلاً قبيحاً أو فاحشاً، أو يسب أحداً من الناس، أو يلعن إنساناً، أو بهيمة، أو جماداً، أو أى شئ كما يفعل بعض الناس الآن.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يترفع عن صحبة الدابة الملعونة؛ وذلك لشدة اللعن وما يترتب عليه من محق البركة ونزول العذاب.

فقال ﷺ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» فأمر النبي ﷺ بأخذ ما على هذه الناقة من متاع، وأمرهم أن لا يركبها أحد وتركوها تمشى، ولم يتعرض لها أحد؛ عقوبة لصاحبها على ما قالت من اللعن؛ لئلا تعود إلى مثل قولها.

قال النووي p: (لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) إِنَّمَا قَالَ هَذَا زَجْرًا لَهَا وَلِغَيْرِهَا، وَكَانَ قَدْ سَبَقَ نَهْيُهَا وَنَهَى غَيْرَهَا عَنِ اللَّعْنِ فَعُوقِبَتْ بِإِرْسَالِ النَّاقَةِ. وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ مُصَاحَبَتِهِ لِتِلْكَ النَّاقَةِ فِي الطَّرِيقِ (2).

(1) سورة القلم الآية 4

(2) شرح النووي على مسلم 147/16 و148

الشرح والتفصيل

قوله (وَأَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ) لم أقف على اسم تلك المرأة، وجاء في رواية الإمام أحمد عن أبي الجوزاء، عَنْ عَائِشَةَ 1: أَتَاهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَلَعَنَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَدَّ، وَقَالَ: لَا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ⁽¹⁾. ولا يقال لعائشة 1 أنها من الأنصار.

وفي رواية مسلم أنه رجل من الأنصار، عن جابر رضي الله عنه قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ⁽²⁾. وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِي بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِي، وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخُمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ، فَأَنَاحَهُ فَرَكَبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ - تَلَكَّا - بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْنٌ - كَلِمَةٌ زَجَرَ لِلْبَعِيرِ - لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا مِلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»⁽³⁾.

(1) رواه أحمد في مسنده مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها 493/40 و 494 ح 24434 والطبراني في المعجم الأوسط 266/8 ح 8596 وإسناده حسن فيه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد مختلف فيه. وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. (التقريب) 236/1 ترجمة 2312 وفيه عمرو بن مالك النكري وثقه الذهبي في الكاشف، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. (الكاشف) 87/2 ترجمة 4223 (التقريب) 426/1 ترجمة 5104 وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَّاهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ النَّكْرِيُّ وَهُوَ ثِقَّةٌ. (مجمع الزوائد) 76/8 و 77 ح 13035

(2) بَوَاطٍ: بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَقَدْ تُضَمُّ، وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ، وَآخِرُهُ مُهْمَلَةٌ. جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ جُهَيْنَةَ بِقَرَبِ يَنْبَعِ. (فتح الباري لابن حجر 280/7).

(3) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل 2304/4 ح 74 وابن حبان في صحيحه كتاب الحظر والإباحة باب اللعن 51/13 و 52 ح 5742

كذا جاء في رواية أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي رواية أبي يعلى عن أنس رضي الله عنه أن صاحب الناقة كان رجلاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَلَعَنَ رَجُلٌ نَاقَةً، فَقَالَ: أَيْنَ صَاحِبُ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا. فَقَالَ: أَخْرِهَا، فَقَدْ أُجِبَتْ فِيهَا»⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سَارَ رَجُلٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَ بَعِيرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مُلْعُونٍ»⁽²⁾، وعلى هذا فيحتمل تعدد الواقعة والنبي ﷺ يوجه أصحابه في كل مرة بعدم مصاحبة تلك الناقة الملعونة.

إشكال والجواب عنه:

إن قيل: اللَّعْنَةُ هي البُعد، وَإِنَّمَا يكون البُعد جَزَاءَ الذَّنْبِ، والناقة غير مكلفة، فكيف تقع عَلَيْهَا لعنة؟ فالجواب من أَرْبَعَةِ أَوْجِه:

أحدها: أن معنى وَقُوعِ اللَّعْنَةِ عَلَيْهَا خُرُوجُهَا مِنَ الْبَرَكَةِ وَالْيَمَنِ، ودخولها في الشَّرِّ والشُّومِ، وللعنة تأثير في الأرض والمياه، وَسَيَّاتِي فِي مُسْنَدِ ابْنِ عَمْرٍ: أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ وَاسْتَقَوْا مِنْ بَنَارِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بَنَارِهَا وَأَنْ يَلْفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْقُوا مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ⁽³⁾.

(1) رواه أحمد في مسنده 320/15 وابن أبي شيبه في مصنفه كتاب الأدب باب في لعن البهيمة 265/5 والنسائي في السنن الكبرى كتاب السير باب لعن الإبل 112/8 وإسناده حسن، فيه محمد بن عجلان وأبوه عجلان مولى فاطمة بنت عتبة من جميع طرقه وكلاهما صدوق. (تقريب التهذيب 387/1 و496/1).

(2) رواه أبو يعلى في مسنده 305/6 والطبراني في المعجم الأوسط 289/4 وإسناده حسن؛ فيه إسماعيل بن أبي أويس صدوق. قال ابن حجر: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه. (تقريب التهذيب 108/1) وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ، وَرَجُلٌ أَبِي يَغْلَى رَجُلُ الصَّحِيحِ. (مجمع الزوائد 77/8).

(3) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} 149/4 ومسلم في كتاب الزهد والرقائق باب لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ 2258/4

وَالثَّانِي: أَنَّهُ نَهَى عَنْ رُكُوبِهَا؛ لِأَنَّ لَاعِنِ النَّاقَةِ ظَلَمَهَا بِاللَّعْنِ، فَتَخَوُّفِ رُجُوعِ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ P: إِذَا لَعِنَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ قَالَتْ لَهُ: عَلَى أَعْصَانَا لِلَّهِ لَعْنَتُهُ. ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ⁽¹⁾. وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ 1، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاعًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِدَلِّكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»⁽²⁾.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ دَعْوَةَ اللَّاعِنِ لِلنَّاقَةِ كَانَتْ مَجَابَةً، وَلِهَذَا قَالَ: «إِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّحَاوِيُّ P فِي قَوْلِهِ ﷺ: (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ): فَرَدَّ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى الدُّعَاءِ، فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ اللَّعْنَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْمَرْأَةِ لِنَاقَتِهَا فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ كَانَ دُعَاءً مِنْهَا عَلَيْهَا، وَافَقَتْ فِيهِ سَاعَةً يُنَالُ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَطَاؤُهُ لِمَنْ سَأَلَهُ فِيهَا، فَأَجَابَهَا فِي دُعَائِهَا عَلَى نَاقَتِهَا فِيمَا دَعَتْ بِهِ عَلَيْهَا.

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الرَّجُلِ اللَّاعِنِ بَعِيرَهُ، وَكَانَتْ النَّاقَةُ فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ وَالنَّاصِحُ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ K بِجَاهِلِيَّةِ الَّذِي كَانَا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَالِكِيهِمَا فِيهِمَا مَا كَانَ، إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُمَا كَانَ فِي ذَلِكَ، وَعَادَتِ الْعُقُوبَةُ بِمَا كَانَ مِنْ

(1) رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: مَا لَعَنَ الْأَرْضَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا قَالَتْ: لَعَنَ اللَّهُ أَعْصَانَا، كِتَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ بَابُ مَا يَجِبُ حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْهُ 163/7 وَعَنْ عَمْرُو بْنِ قَيْسٍ قَالَ: إِذَا رَكِبَ الرَّجُلُ الدَّابَّةَ قَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ بِي رَفِيقًا رَحِيمًا، فَإِذَا لَعَنَهَا قَالَتْ: عَلَى أَعْصَانَا لِلَّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ. (التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهيبُ لِقَوَامِ السَّنَةِ 220/3).

(2) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ بَابُ اللَّعْنِ 277/4 وَابْنُ بَرَكَةَ فِي مَسْنَدِهِ حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ 24/10 وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. (فَتْحُ الْبَارِيِّ 467/10).

مَالِكَيْهِمَا عَلَى مَالِكَيْهِمَا، فَحُرْمًا بِذَلِكَ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَا يَصِلَانِ إِلَيْهَا مِنَ النَّاقَةِ
وَمِنَ النَّاصِحِ اللَّذَيْنِ كَانَا لَهُمَا، وَعَادَ ذَلِكَ تَخْفِيفًا عَنِ النَّاقَةِ وَالْناَصِحِ مِنَ الْحُمُولَةِ
عَلَيْهِمَا، وَالرُّكُوبِ مِنْ مَالِكَيْهِمَا إِيَّاهُمَا، وَاللَّهُ نَسَأَلُهُ التَّوْفِيقَ⁽¹⁾.
وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا عُقُوبَةً لِمَصَاحِبِهَا لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، حَكَاهُمَا
الْخَطَابِيُّ⁽²⁾.

هل لعنُ النَّاقَةِ يُحرم لحمها وألبانها؟

لا يحرم لحمها والانتفاع بها، وإنما النهي عن مصاحبة النبي ﷺ في هذا السفر
قال الإمام النووي p: وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ مُصَاحَبَتِهِ لِتِلْكَ النَّاقَةِ فِي الطَّرِيقِ وَأَمَّا
بَيْعُهَا وَذَبْحُهَا وَزَكْوَتُهَا، فِي غَيْرِ مُصَاحَبَتِهِ ﷺ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ
جَائِزَةً قَبْلَ هَذَا فَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى الْجَوَازِ، لِأَنَّ الشَّرْعَ إِنَّمَا وَرَدَ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُصَاحَبَةِ
فَبَقِيَ الْبَاقِي كَمَا كَانَ. أ.هـ.⁽³⁾

تحريم الإسلام للعن والسب:

إنَّ من العادات القبيحة المنتشرة عند طائفة من المسلمين اللعن باللسان، فترى
وتسمع كثيرا من الجهال والعوام يلعن أهلهم، وزوجهم، وولده، ومتاعه، ويومه،
وساعته، وجاره، وعدوه، ولا يكاد يسلم شيء من لعنه وهذا فيه خطر عظيم على
دين المسلم يوجب له الإثم والعقوبة.

إنَّ اللعن باللسان عادة سيئة تنم عن ضحالة الفكر، واعتلال القلب، وسوء
الخلق، ودناءة الطبع، وضعف الإيمان. وفي المقابل ترك اللعن يدل على رقي الفكر،
وسلامة القلب وحسن الخلق، وكرم الطباع، وصيانة العبد للسانه وضبطه.

(1) شرح مشكل الآثار للطحاوي 169/9 ح 3539

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين 487/1 و 488 ح 464

(3) شرح النووي على مسلم 147/16

والمؤمن الحق ينبغي عليه أن يكون عفيف اللسان متنزها عن الأقدار والأوساخ من لعن وشتيم وهمز ولمز وغيره ليزداد إيمانه وتقوى بصيرته ويسلم دينه من التبعة. أما الفاجر والسفيه فيطلق لسانه في أعراض المسلمين باللعن ويهتك أستارهم ولا يبالي بمغبة هذا البلاء ولا يتورع أبدا.

لأن اللعنة يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنیان يشد بعضهم بعضا، وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهى الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو فى نهاية المقاطعة والتدابير وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ يتورع ويتحفظ عن اللعن

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لغانا، وإنما بعثت رحمة»⁽¹⁾. أى رحمة للناس عامة وللمؤمنين خاصة، متخلقا بوصفى الرحمن الرحيم، ولقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}⁽²⁾. قال ابن الملك p: أَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ فَظَاهِرٌ، وَأَمَا لِلْكَافِرِينَ فَلَأَنَّ الْعَذَابَ رُفِعَ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}⁽³⁾. قال الملا على القارى p: بَلْ عَذَابُ الْإِسْتِصَالِ مُرْتَفَعٌ عَنْهُمْ بِبَرَكَهٍ وَجُودِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ الطَّبِيبِي p: أَى: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَقْرِبَ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَحْمَتِهِ، وَمَا بُعِثْتُ لِأُبْعِدَهُمْ عَنْهَا، فَاللَّعْنُ مُنَافٍ لِحَالِي فَكَيْفَ أَلْعَنُ؟⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم فى الصحيح كتاب البر والصلة باب النهى عن لعن الدواب 2006/4

(2) سورة الأنبياء الآية 107

(3) سورة الأنفال من الآية 33

(4) مرقاة المفاتيح 3714/9

وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا لَعَانًا، وَلَا سَبَابًا» رواه البخاري (1).

وحذر النبي ﷺ من فحش القول والبذاءة؛ فليس هذا من صفات المؤمنين، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» (2).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (3).

قال ابن بطال p: سباب المسلم فسوق؛ لأن عرضه حرام كتحریم دمه وماله، والفسوق في لسان العرب: الخروج من الطاعة، فينبغي للمؤمن ألا يكون سبَابًا وَلَا لَعْنًا للمؤمنين ويقتدى في ذلك بالنبي ﷺ؛ لأن السبَّ هو سبب الفرقة والبغضة، وقد مَنَّ الله على المؤمنين بما جمعهم عليه من ألفة الإسلام، فقال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (4) الآية. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (5) فكما لا ينبغي سبَّ أخيه في النسب كذلك لا ينبغي سبَّ أخيه في الإسلام ولا ملاحاة. ألا ترى أن الله تعالى رفع معرفة ليلة القدر عن عباده وحرّمهم علمها عقوبة لتلاحي الرجلين (6).

(1) صحيح البخاري كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن 15/8 ح 6046

(2) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في اللعن 350/4 ح 1977 وقال الترمذي: حديث حسن.

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده 60/7 ح 3948

(3) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن 15/8 ح 6044 ومسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق ... 81/1 ح 116

(4) سورة آل عمران من الآية 103

(5) سورة الحجرات من الآية 10

(6) شرح صحيح البخاري لابن بطال 241/9 ح 72

النهى عن سبِّ الأيام والدهر:

كان من شأن العرب أن تدم الدهر، وتسبه عند النوازل والحوادث، ويقولون: أبادهم الدهر، وأصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، أو يقولون: بؤساً للدهر، أو تبّاً له، ويكثرون من ذكر ذلك في أشعارهم، وقد ذكر الحق جل جلاله قولهم هذا في كتابه الكريم فقال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} (1).
 قَالَ عَمْرُو بْنُ قَمِيئَةَ:

رمتني بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى . . . فَكَيْفَ بِمَنْ يَرْمِي وَلَيْسَ بِرَامِي
 وَقَالَ آخَرُ: وَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ . . . وَالدهر يرميني وَمَا أَرْمِي (2)
 وفي هذا الزمان نسمع بعض الناس يسبون الزمان، والسنة، والأيام، والساعة، فيقول بعضهم: زمن لا يرحم، أو لعن الله هذه الأيام، أو ساعة سوداء، إلى غير ذلك من ألفاظ السب، وهذا كله لا يجوز؛ لأن الله تعالى هو خالق الزمان، وهو الفاعل والمدير لكل ما يحدث في الدهر، وهو الفاعل لما يريد.
 عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ (3).
 وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (4).

(1) سورة الجاثية الآية 24

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين 18 / 155

(3) رواه البخارى في كتاب الأدب باب لا تسبوا الدهر 41/8 ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهى عن سب الدهر 1672/4

(4) رواه البخارى كتاب تفسير القرآن باب {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 24] الآية. ومسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهى عن سب الدهر 1672/4

قال الإمام الخطابي p: تأويل هذا الكلام أن العرب إنما كانوا يسيبون الدهر على أنه هو المُلِمُّ بهم في المصائب والمكاره، ويضيفون الفعل فيما ينالهم منها إليه، ثم يسيبون فاعلها فيكون مرجع السب في ذلك إلى الله سبحانه؛ إذ هو الفاعل لها ف قيل على ذلك لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر، أى إن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر⁽¹⁾.

قوله «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ»: إيقاع الأذى عليه سبحانه وتعالى مُحال، وإنما يعود الإيذاء على الذى يصدر منه السَّبُّ واللَّعن، قال الإمام النووى p: أى يُعَامِلُنِي مُعَامَلَةً تُوجِبُ الْأَذَى فِي حَقِّكُمْ⁽²⁾.

وقال المازري p: هُوَ مَجَازٌ وَالْبَارِئُ تَعَالَى لَا يَتَأَذَّى مِنْ شَيْءٍ فَيُحْمَلُ أَنْ يُرِيدَ، أَنَّ هَذَا عِنْدَكُمْ إِذَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَحَبَّ آخَرَ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَسُبَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ السَّبَّ يُؤْذِيهِ، وَالْمَحَبَّةُ تَمْنَعُ مِنَ الْأَذَى وَمِنْ فِعْلِ مَا يَكْرَهُهُ الْمَحْبُوبُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَفْعَلُ مَا أَكْهَاهُ عَنْهُ وَمَا يُخَالِفُنِي فِيهِ، وَالْمُخَالَفَةُ فِيهَا أَذَى فِيمَا بَيْنَكُمْ فَتَجُوزُ فِيهَا فِي حَقِّ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ انْتَهَى⁽³⁾.

قوله سبحانه {وَأَنَا الدَّهْرُ}: قيل: إِنَّهُ عَلَى حَذْفٍ مُضَافٍ، أَى صَاحِبُ الدَّهْرِ، أَى الْخَالِقُ لَهُ، وَقِيلَ: تَقْدِيرُهُ مَقْلَبُ الدَّهْرِ، وَلِذَا عَقِبَهُ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ: بِيَدَى اللَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَمَعْنَى النَّهْيِ عَنْ سَبِّهِ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ فَاعِلٌ لِلْمَكْرُوهِ فَسَبَّهُ أَخْطَأَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَاعِلُ، فَإِذَا سَبَّهُ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ⁽⁴⁾.

(1) معالم السنن 158/4 و159

(2) شرح النووى على مسلم 2/15 ح 2246

(3) طرح التثريب في شرح التقريب 8/157

(4) شرح الزرقاني على الموطأ 636/4 ح 1846

قَالَ الْخَطَّابِيُّ p: مَعْنَاهُ أَنَا صَاحِبُ الدَّهْرِ، وَمُدَبِّرُ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْسُبُونَهَا إِلَى الدَّهْرِ، فَمَنْ سَبَّ الدَّهْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ فَاعِلٌ هَذِهِ الْأُمُورِ عَادَ سَبُّهُ إِلَى رَبِّهِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهَا، وَإِنَّمَا الدَّهْرُ زَمَانٌ جُعِلَ ظَرْفًا لِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ، وَكَانَتْ عَادَتُهُمْ إِذَا أَصَابَهُمْ مَكْرُوهٌ أَضَافُوهُ إِلَى الدَّهْرِ فَقَالُوا بُؤْسًا لِلدَّهْرِ وَتَبًّا لِلدَّهْرِ⁽¹⁾.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ p: وَأَمَّا قَوْلُهُ غَزَّ وَجَلَّ (وَأَنَا الدَّهْرُ) فَإِنَّهُ يَرْفَعُ الرَّاءَ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَجَمَاهِيرُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِيُّ الطَّاهِرِيُّ: إِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ بِالتَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِ أَيْ أَنَا مُدَّةُ الدَّهْرِ أَقْلَبَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ⁽²⁾.

من عقوبة اللعَّانين في الدنيا والآخرة:

إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَلْعَنُ وَيَسُبُّ إِنَّمَا هُوَ نَاقِصُ الْمَرْوَةِ، لَا تَقْبَلُ عَدَالَتُهُ وَلَا شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ شَفَاعَةٌ فِي الْآخِرَةِ، وَمَحْرُومٌ مِنْ مَنْزِلَةِ الشَّهَدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁾.

فَمَنْ كَثُرَ لَعْنُهُ يُحْرَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رُتْبَةِ الشَّهَادَةِ لِلرُّسُلِ عَلَى أُمَّهِمْ بِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ، وَمِنْ الشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَأَيْضًا لَا يَقْبَلُ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ p: وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ إِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ فَمَعْنَاهُ لَا يَشْفَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ (وَلَا شُهَدَاءَ) فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَصَحُّهَا وَأَشْهَرُهَا: لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْأُمَّمِ بِتَبْلِيغِ رُسُلِهِمْ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَاتِ.

(1) فتح الباري لابن حجر 574/8 و عمدة القارى 165/19

(2) شرح النووي على مسلم 2/15 ح 2246

(3) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب النهى عن لعن الدواب 2006/4 وابن أبي شيبة في مصنفه 50/1

وَالثَّانِي: لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ فِي الدُّنْيَا أَى لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ لِفِسْقِهِمْ.
وَالثَّلَاثُ: لَا يُرْزَقُونَ الشَّهَادَةَ وَهِيَ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ: لَا يَنْبَغِي
لصديق أن يكون لعنا ولا يكون اللعانون شُفَعَاءَ بِصِغَةِ التَّكْثِيرِ وَلَمْ يَقُلْ لَاعِنًا
وَاللَّاعِنُونَ؛ لِأَنَّ هَذَا الدَّمُّ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ كَثُرَ مِنْهُ اللَّعْنُ لَا لِمَرَّةٍ وَخَوِهَا؛
وَلِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ أَيْضًا اللَّعْنُ الْمُبَاحُ وَهُوَ الَّذِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ وَهُوَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ، لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْوَاسِثَةَ، وَشَارِبَ الْخَمْرِ،
وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَالْمُصَوِّرِينَ، وَمَنْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَتَوَلَّى
غَيْرَ مَوَالِيهِ، وَغَيْرَ مَنَارِ الْأَرْضِ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ هُوَ مَشْهُورٌ فِي الْأَحَادِيثِ
الصَّحِيحَةِ⁽¹⁾.

النَّهْيُ عَنْ لَعْنِ الرِّيحِ:

واللعن محرم في كل شيء عام يشمل الإنسان والحيوان والريح والزمان؛ لأنه يحق
البركة ويرفع الرحمة ويبعد عن الرحمن ويقرب من الشيطان؛ ولذلك نهى الشارع عن
لعن الريح، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ K، أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تَلْعَنِ
الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»⁽²⁾.
قال المباركفوري p: (فإنها مأمورة) إما بالرحمة أو بالنقمة، وقيل: أى بأمر ميثا،
والمنازعة من خاصيتها ولوازم وجودها عادة، أو فإنها مأمورة حتى بهذه المنازعة أَيْضًا
ابتلاء لعباده (وإنه) أى الشأن (من لعن شيئًا ليس) أى ذلك الشيء (له) أى اللعن
(بأهل) أى بمستحق (رجعت اللعنة عليه) أى على اللاعن، لأن اللعنة، وكذا الرحمة
تعرف طريق صاحبها.

(1) شرح النووي على مسلم 16 / 149

(2) رواه الترمذى في كتاب البر والصلة باب ما جاء في اللعنة 350/4 وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا
أَسْنَدَهُ غَيْرَ بَشَرٍ بَنِ عُمَرَ. وابن حبان في الصحيح كتاب اللعن باب ذكر زجر المرء عن لعن الريح 56/13

قال الطيبي p: (ليس له) صفة شيئاً، واسمه ضمير راجع إليه، والضمير في "له" راجع إلى مصدر لعن، وفي (عليه) إلى (مَنْ) على تضمين رجعت معنى استقلت يعنى استقلت اللعنة عليه راجعة؛ لأن اللعن طرد عن رحمة الله فمن طرد ما هو أهل لرحمة الله عن رحمته جعل مطروداً⁽¹⁾.

وعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ⁽²⁾.

(فَائِدَةٌ) قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو الْقَاسِمِ الْيَافِعِيُّ فِي شَرْحِ مُسْنَدِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رحمته الله: يُرَوَّى «أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْفَقْرَ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تَسُبُّ الرِّيحَ» انْتَهَى. فَأَفْهَمَ أَنَّ سَبَّ الرِّيحِ يُورِثُ الْفَقْرَ⁽³⁾.

النَّهْيُ عَنِ لَعْنِ الدِّيكِ:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى مَوَاطِنِ الصَّلَاحِ، وَمَوَاضِعِ النِّفَعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَنَهَى عَنِ لَعْنِ الدِّيكِ لِمَا رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ»⁽⁴⁾. قَالَ الْحَلِيمِيُّ: يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ اسْتَفِيدَ مِنْهُ الْخَيْرُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَبَّ وَلَا أَنْ يُسْتَهَانَ بِهِ بَلْ يُكْرَمُ وَيُحْسَنُ إِلَيْهِ. قَالَ: وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ أَنْ يَقُولَ بِصَوْتِهِ حَقِيقَةً صَلُّوا أَوْ حَانَتْ الصَّلَاةُ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ بِأَنَّهُ يَصْرُخُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَعِنْدَ الزَّوَالِ، فِطْرَةً فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا⁽⁵⁾.

(1) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 202/5 ح 1530

(2) رواه الترمذی فی کتاب الفتن باب ما جاء فی النهی عن سب الرياح 521/4 وقال: حسن صحيح.

(3) غذاء اللباب شرح منظومة الآداب لشمس الدين السفاريني 121/1

(4) رواه أبو داود فی کتاب الأدب باب ما جاء فی الديك والبهائم 327/4 ح 5101 وقال العجلوني: رواه

أبو داود بسند جيد (كشف الخفاء) 356/2

(5) فتح الباری لابن حجر 353/6

النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ مِنْ أَكْبَرِ الْحُرْمَاتِ، وَأَوْجَبَ صَوْنَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَحُرْمَةَ الْمُسْلِمِ غَيْرِ مُقَيَّدَةٌ بِحَيَاتِهِ، بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ وَيَجِبُ صَوْنُهَا وَالذَّبُّ عَنْهَا فِي كُلِّ حَالٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ.

عَنْ عَطَاءٍ ^p قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ ^K جَنَازَةَ مَيْمُونَةَ ¹ بِسَرِفٍ -مَكَانٍ قَرِبَ مَكَّةَ- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^K: هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعَشَهَا فَلَا تُزَعِرْغُوها، وَلَا تُزَلِّزُوهَا، وَارْفُقُوا⁽¹⁾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ^p: وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ حُرْمَةَ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ مَوْتِهِ بَاقِيَةٌ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِ⁽²⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ ¹ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»⁽³⁾. أَيْ: وَصَلُوا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَيُجَازِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ ^p: الْمَعْنَى: قَدْ صَارُوا إِلَى جَزَاءِ مَا قَدَّمُوا، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَوَزُوا بِالْشَّرِّ فَيَكْفِي مَا هُمْ فِيهِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ غُفِرَ لَهُمْ لَمْ يَضُرَّهُمُ السَّبُّ⁽⁴⁾.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: قَوْلُهُ "الْأَمْوَاتُ" الْأُلْفُ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ، أَيْ أَمْوَاتُ الْمُسْلِمِينَ. وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ^{رضي الله عنه} أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اذْكُرُوا مُحَاسِنَ مَوْتَانِكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ. وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا فِي كِتَابِ الْأَدَبِ مِنْ سَنَنِهِ، وَلَا حَرَجَ فِي ذِكْرِ مَسَاوِي الْكُفَّارِ، وَلَا يَأْمُرُ بِذِكْرِ مُحَاسِنِ إِنْ كَانَتْ لَهُمْ مِنْ صَدَقَةٍ

(1) جزء من حديث أخرجه البخارى في كتاب النكاح باب كثرة النساء 3/7 ح 5067 ومسلم في كتاب

النكاح باب جواز هبتها نوبتها لضررتها 1086/2 ح 51

(2) فتح البارى 113/9

(3) رواه البخارى في كتاب الجنائز باب ما ينهى من سب الأموات 104/2 ح 1393 والترمذى في كتاب

البر والصلة باب ما جاء في الشتم 353/4 ح 1982

(4) كشف المشكل من حديث الصحيحين 392/4 ح 2610

وإعتاق وإطعام طعام ونحو ذلك، اللهم إلا أن يتأذى بذلك مسلم من ذريته فيجتنب ذلك حينئذ⁽¹⁾.

عن زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»⁽²⁾. أى (لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ) من المسلمين (فَتُؤْذُوا) أى بِسَبِّكُمْ (الْأَحْيَاءَ) أى مِنْ أَقَارِبِهِمْ.

قال ابن علان p: والحديث فى سب أموات المسلمين، أما أموات الكفار فيجوز سبهم عموماً، وأما المعين منهم فلا يجوز سبه لاحتمال أنه مات مسلماً، إلا أن يكون ممن نص الشارع على موته كافراً، كأبي لهب وأبي جهل⁽³⁾.

وسبب الحديث كما ذكره الحاكم وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها قال شكاً عكرمة بن أبي جهل إلى النبي ﷺ أنه إذا مرَّ بالمدينة قيل له: هذا ابن عدو الله، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لَا تُؤْذُوا مُسْلِمًا بِكَافِرٍ⁽⁴⁾.

ولفظ ابن سعد: فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونَ الْأَحْيَاءَ بِسَبِّهِمُ الْأَمْوَاتِ، أَلَا لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِشْتِمِ الْأَمْوَاتِ⁽⁵⁾.

(1) عمدة القارى 230/8 ح 148 والحديث رواه أبو داود فى كتاب الأدب باب النهى عن سب الموتى 275/4 ح 4900 والترمذى فى كتاب الجنائز باب آخر 330/3 ح 1019 وقال: حديث غريب، وسمعتُ مُحَمَّدًا أَى ابن إسماعيل البخارى يَقُولُ: «عِمْرَانُ بْنُ أَنَسٍ الْمَكِّيُّ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ».

(2) أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الشتم 353/4 وأحمد فى المسند حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه 149/30 و150 وقال الهيثمى: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. (مجمع الزوائد) 76/8

(3) دليل الفالحين 406/8

(4) مستدرک الحاكم كتاب معرفة الصحابة فى ذكر مناقب عكرمة بن أبى جهل رضي الله عنه 271/3 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(5) الطبقات الكبرى لابن سعد 329/1 ح 142

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ K قَالَا: قَدِمْتُ دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي هَبٍ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً فَتَزَلَّتْ دَارَ رَافِعِ بْنِ الْمُعَلَّى الزُّرْقِيِّ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَالِسِينَ إِلَيْهَا مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: أَنْتِ بِنْتُ أَبِي هَبٍ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (1). مَا يُغْنِي عَنْكَ مُهَاجِرُكَ؟

فَأَتَتْ دُرَّةُ النَّبِيَّ ﷺ: فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا، فَسَكَّنَهَا وَقَالَ: «اجْلِسِي» ثُمَّ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُودِيَ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتَنَالُ حَى حَا وَحُكْمَ (2) وَصَدَاءَ وَسَلَهَبَ (3) يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (4).
ما يستفاد من الحديث:

- 1- أن سباب المسلم ولعنه من الفسوق والخروج عن طاعة الله، ومقاتلته تؤدي إلى الكفر بالله ﷻ.
- 2- ينبغي على المؤمن أن يحفظ لسانه عن السب والشتم واللعن فإنها من خوارم المروءة.
- 3- أن اللعنة ترد إلى قائلها إذا لم يكن من لعنه أهلاً لها.
- 4- النهي عن لعن الأيام والزمان والدهر، فإن الله ﷻ هو مدبر الأمور ومقلب الليل والنهار.

(1) سورة المسد الآيتان 1 و2

(2) قال السمعاني: في الحديث "حا وحكم" هما قبيلتان من أقصى اليمن. الأنساب 202/4 وقال اليعقوبي في تسمية من سكن كل بلد من قبائل اليمن: والخصوف والساعد أهلها حاء وحكم. البلدان 156/1
(3) قال السمعاني: وسلهب في نسب اليمن من دوس. وقال: قال علي: سألت أبا عبيدة عن صداء وسلهب؟ فقال: حيان من اليمن. الأنساب 22/1

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير مسند النساء باب الدال درة بنت أبي هب 1 295/24 ح 660 قال الهيثمي: فيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وثقه رجاله ثقات. (مجمع الزوائد) 257/9 و258 ح 15401 وأخرجه ابن أبي عاصم في الاحاد والمثنائ 470/5 ح 3165

- 5- أن من يكثّر من اللعن لا تقبل له شهادة في الدنيا ولا يكون من أهل العدالة ولا الشفاعة في الآخرة، ويحرم من منزلة الشهداء عند الله تعالى.
- 6- النهي عن لعن الدواب والبهائم وغيرها، فإن لعنها يحق منها البركة.
- 7- أن لله تعالى حكمة في خلق كل شيء إن خفيت علينا حكمته، والمؤمن ينظر إلى مواضع الفائدة في الأشياء، فلا يكره منها شيئاً.
- 8- النهي عن سب الأموات فقد أفضوا إلى ما قدموا من خير أو شر.
- 9- المحافظة على مشاعر الآخرين، فسب الميت قد يؤذى أبناءه أو أقاربه من المسلمين.

والله أعلم.

الحديث الثاني

الأرواح جنود مجندة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»⁽¹⁾.

الراوي الأعلى للحديث:

الإمام الفقيه المجهّد الحافظ صاحبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، الْيَمَانِيُّ، سَيِّدُ الْحِفَاطِ الْأَثْبَاتِ. اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ جَمَّةٍ. أَرْجَحُهَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ. وَقِيلَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ. وَيُقَالُ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ اسْمُهُ عَبْدُ شَمْسٍ، أَبُو الْأَسْوَدِ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَبْدَ اللَّهِ، وَكَتَبَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ. وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ: أَنَّهُ كُنِيَ بِأَوْلَادِ هِرَّةٍ بَرِّيَّةٍ. قَالَ: وَجَدْتُهَا، فَأَخَذْتُهَا فِي كُمِّي، فَكُنَيْتُ بِذَلِكَ.

وَقَالَ: كُنَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنِّي كُنْتُ أَحْمَلُ هِرَّةً فِي كُمِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: مَا هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: هِرَّة. فَقَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ. وَقِيلَ: أَنَّهُ قَالَ: كُنَانِي أَبِي بِأَبِي هُرَيْرَةَ لِأَنِّي كُنْتُ أُرْعَى غَنَمًا فَوَجَدْتُ أَوْلَادَ هِرَّةٍ وَحْشِيَّةٍ فَأَخَذْتُهَا فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ أَنْتَ أَبُو هُرَيْرَةَ. أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضياً بشيعة بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ، وَكَانَ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ.

وَعَنْ قَيْسٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ فِي الطَّرِيقِ:

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة 2031/4 ح 159 وأبو داود في كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجلس 260/4 ح 4834

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا .. عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ
 قَالَ: وَأَبْقَى مِنِّي غُلَامٌ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فَبَيْنَا أَنَا
 عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ الْغُلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا غُلَامُكَ؟» قُلْتُ: هُوَ
 لَوَجْهِ اللَّهِ، فَأَعْتَقْتُهُ.

وعن سُلَيْمِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: نَشَأْتُ
 يَتِيمًا وَهَاجَرْتُ مَسْكِينًا وَكُنْتُ أَجِيرًا لِبُسْرَةَ بِنْتِ غَزْوَانَ بِطْعَامِ بَطْنِي وَعَقْبَةِ رَجُلِي.
 فَكُنْتُ أَخْدُمُ إِذَا نَزَلُوا وَأَحْدُو إِذَا رَكِبُوا فَزَوَّجَنِيهَا اللَّهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ
 قَوَامًا وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَامًا.

قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: وَأُمُّهُ 1 هِيَ: مَيْمُونَةُ بِنْتُ صَبِيحٍ.

روى الإمام أحمد بسنده عن أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ وَقَالَ لَنَا: وَاللَّهِ مَا
 خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. قُلْتُ: وَمَا عَلِمْتُكَ بِذَلِكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟
 قَالَ: إِنَّ أُمِّي كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً، وَإِنِّي كُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ،
 فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَاسْتَمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَبْكِي،
 فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ، وَإِنِّي
 دَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْتَمَعَنِي فَبَكَتْ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ". فَخَرَجْتُ أَدْعُو أَبِشْرَهَا بِدُعَاءِ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيْتُ الْبَابَ إِذَا هُوَ مُجَافٍ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، وَسَمِعْتُ
 خَشْفَ رِجْلَيَّ -يَعْنِي وَقَعَهُمَا- فَقَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كَمَا أَنْتَ. ثُمَّ فَتَحَتِ الْبَابَ
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِرْعَهَا وَعَجَلَتْ عَنْ حِمَارِهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ كَمَا بَكَيتُ مِنَ الْحُزَنِ، فَقُلْتُ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَبْشِرْ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ، وَقَدْ هَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ؛ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبَّنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبَّهُمْ إِلَيْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْهُمْ إِلَيْهِمَا". فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي، أَوْ يَرَى أُمِّي إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّنِي⁽¹⁾.

حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا، طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ، وَعَنْ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأُسَامَةَ، وَعَائِشَةَ، وَالْفَضْلِ، وَبَصْرَةَ بْنِ أَبِي بَصْرَةَ، وَكَعْبِ الْحَبَرِ ﷺ. وَحَدَّثَ عَنْهُ: خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. فَمِنَ الصَّحَابَةِ: ابْنُ عَمْرٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٌ، وَأَنْسٌ، وَوَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ. وَمِنَ كِبَارِ التَّابِعِينَ: مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَقُبَيْصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرُهُمْ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: رَوَى عَنْهُ نَحْوُ الثَّمَانِمِائَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ أَحْفَظَ مِنْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي عَصْرِهِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَقَالَ الرَّبِيعُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ أَحْفَظُ مَنْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي دَهْرِهِ.

وَقَالَ أَبُو الرَّعِيزَةِ كَاتِبُ مَرْوَانَ: أَرْسَلَ مَرْوَانُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، فَجَعَلَ يَحْدِثُهُ، وَكَانَ أَجْلَسْنِي خَلْفَ السَّرِيرِ أَكْتُبُ مَا يَحْدِثُ بِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي رَأْسِ الْحَوْلِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ، فَمَا غَيَّرَ حَرْفًا عَنْ حَرْفٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ.

(1) رواه أحمد في مسنده مسند أبي هريرة ﷺ 10/14 و 11 ح 8259 والحاكم في المستدرک من کتاب آیات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة 2/677 ح 4240 وصححه الذهبي.

قال أبو القاسم بن النحاس: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: رأيت في النوم -وأنا بسجستان أصنف حديث أبي هريرة- أبا هريرة رضي الله عنه كُتُّ اللحية أسمر عليه ثياب غلاظ فقلت له: إني أحبك فقال: أنا أول صاحب حديث كان في الدنيا. وعن خالد الحذاء عن عكرمة قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ذنبي. وقال أبو نضرة العبدى عن الطفاوى قال: نزلت على أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة ستة أشهر فلم أر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه.

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ: تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، سَبْعًا، فَكَانَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ يَعْتَقِبُونَ اللَّيْلَ اثْنَلَاثًا: يُصَلِّي هَذَا، ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا. وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن عكرمة أن أبا هريرة رضي الله عنه كَانَ يُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ، يَقُولُ: أَسْبَحَ بِقَدْرِ ذَنْبِي. من أسباب كثرة روايته للحديث رضي الله عنه:

أولاً: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَى لَهُ بَعْدَ نَسْيَانِ الْعِلْمِ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقُ الْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعْيَ حِينَ يَنْسَوْنَ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبُهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ» فَبَسَطْتُ ثَمَرَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا

فَصَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ⁽¹⁾.

وعن مُحَمَّدَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: عَلَيْكَ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، فَإِنَّهُ بَيْنَا أَنَا وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَفُلَانٌ فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ يَوْمٍ نَدَعُو اللَّهَ تَعَالَى وَنَذْكُرُ رَبَّنَا؛ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، قَالَ: فَجَلَسَ وَسَكَنَّا، فَقَالَ: «عُودُوا لِلَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ».

قَالَ زَيْدٌ: فَدَعَوْتُ أَنَا وَصَاحِبِي قَبْلَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤَمِّنُ عَلَيَّ دُعَائِنَا. قَالَ: ثُمَّ دَعَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِثْلَ الَّذِي سَأَلَكَ صَاحِبَايَ هَذَانِ، وَأَسْأَلُكَ عِلْمًا لَا يُنْسَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آمِينَ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا لَا يُنْسَى فَقَالَ: «سَبَقَكُمَا بِمَا الْغُلَامُ الدَّوْسِيُّ»⁽²⁾.

ثانيًا: شدة ملازمته لرسول الله ﷺ يدور معه حيث كان، ويحفظ ما يقوله ﷺ، بالإضافة إلى شدة حرصه على التعلم، فكانت السنين القليلة من صحبته كالسنين الكثيرة من صحبة غيره من الصحابة الكرام، وكان جريئًا يسئل النبي ﷺ عن كل ما يعرض له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»⁽³⁾.

(1) أخرجه البخارى في كتاب البيوع باب ما جاء في قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ}

52/3 ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ 1939/4

(2) رواه الطبراني في (المعجم الأوسط) 54/2 ح 1228 والنسائي في (السنن الكبرى) كتاب العلم باب

مسألة علم لا ينسى 374/5 ح 5839 وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَقَيْسٌ هَذَا كَانَ قَاصَّ عُمَرَ

بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ غَيْرُ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. (مجمع الزوائد) 361/9 ح 15952

(3) رواه البخارى في كتاب العلم باب الحرص على الحديث 31/1 ح 99

وقيل لابن عمر رضي الله عنه: هل تُنكرُ مما يُحدِّثُ به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنَّه اجترأ، وجبَّنا.

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: فما ذنبي إن كنتُ حَفِظْتُ، ونَسُوا.
وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه مرَّ بأبي هريرة رضي الله عنه، وهو يُحدِّثُ عن النبي ﷺ: من تبع جنازةً فله قيراطٌ، فإن شهدَ دفنها فله قيراطان، القيراط: أعظمُ من أحدٍ.
فقال ابن عمر: يا أبا هريرة، انظرْ ما تُحدِّثُ به عن رسول الله ﷺ فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق إلى عائشة رضي الله عنها فقال لها: يا أم المؤمنين، أنشدك الله أسمعَ رسول الله ﷺ يقول: «من تبع جنازةً فصلَّى عليها فله قيراطٌ، وإن شهدَ دفنها فله قيراطان».

ف قالت: اللهم نعم، فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ غرسٌ، ولا صفقٌ بالأسواق، وإنما كنتُ أطلبُ من رسول الله ﷺ كلمةً يعلمُنيها، أو أكلةً يطعمُنيها، فقال ابن عمر: يا أبا هريرة، كنتَ ألزمتنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه.

ثالثاً: أنه كان ﷺ يتصدى للتحديث ولنشر ما حفظه عن رسول الله ﷺ بقصد نشره بين الناس وتعليمهم سنة رسول الله ﷺ، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة لذكره من الاستدلال على فتوى، أو مناسبة.

رابعاً: أن الله تبارك وتعالى مدَّ له في عمره بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، واحتاج الناس إلى ما عنده من علمه فحدثهم به، ولم يكتفِ عنهم شيء.

وأخرج أحمد من طريق عاصم بن كليب عن أبيه: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من كذب على مُتعمداً، فليتبوأ مقعده من النار».

بلغ مُسْنَدُهُ ﷺ: خَمْسَةُ آلَافٍ وَثَلَاثُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ حَدِيثًا (5374)
الْمُتَّفَقُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْهَا: ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَعِشْرُونَ. وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ: بِثَلَاثَةِ
وَتِسْعِينَ حَدِيثًا، وَمُسْلِمٌ: بِثَمَانِيَةٍ وَتِسْعِينَ حَدِيثًا.

استعمله عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ عَزَلَهُ، ثُمَّ أَرَادَهُ عَلَى الْعَمَلِ فَأَبَى
عَلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتِهِ.

عَنْ سَلَمِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ بَكَى فِي مَرَضِهِ، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ:
مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ عَلَى بُعْدِ سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي، وَأَنِّي أَمْسَيْتُ فِي
صُعُودٍ، وَمَهْبِطُهُ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، فَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا يُؤْخَذُ بِي؟
عاش أبو هريرة ﷺ ثمانيا وسبعين سنة.

قال الحافظ ابن حجر: وكأنه مأخوذ من الأثر المتقدم عنه أنه كان في عهد النبي
ﷺ ابن ثلاثين سنة وأزيد من ذلك، وكانت وفاته بقصره بالعقيق، فحمل إلى المدينة،
قال هشام بن عروة، وخليفة وجماعة: توفي أبو هريرة ﷺ سنة سبع وخمسين. وقال
الهيثم بن عدي وأبو معشر وضمرة بن ربيعة: مات سنة ثمان وخمسين.

وقال الواقدي وأبو عبيد وغيرهما: مات سنة تسع وخمسين، وزاد الواقدي:
وصلّى على عائشة في رمضان سنة ثمان، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع، ثم
توفي بعد ذلك.

قلت: فقد ثبت في الصحيح ما يدلُّ على أن أم سلمة عاشت إلى خلافة يزيد
بن معاوية.

والمعتمد في وفاة أبي هريرة ﷺ قول هشام بن عروة، فقال: مات سنة سبع
 وخمسين (1).

(1) الإصابة 348/7 وسير أعلام النبلاء 578/2 وتذكرة الحفاظ للذهبي 28/1 وأسد الغابة 313/6
والاستيعاب 1768/4

معاني المفردات:

(الرَّوْحُ) جمع روح وهو الذى يقوم به الجسد وتكون به الحياة. وقيل: هى ذات لطيفة كاهواء، سارية في الجسد كسريان الماء في غزوق الشجر⁽¹⁾.
(جُنُودٌ مُجْتَدَّةٌ) جموع مجتمعة وأنواع مختلفة، وهذا كما يقال: ألف مؤلفة وقناطير مُقَنْطَرَةٌ أى مُصَعَّفَةٌ⁽²⁾.

وقيل أجناس مجنسة. وجند: كلُّ صنفٍ من الخلق يقال لهم: جُنْدٌ على حدة.
(تَعَارَفَ) توافقت صفاتها وتناسبت في أخلاقها، وقيل التشاكل في الخير والشر.
(اتَّالَفَ) من الألفة وهى المحبة والمودة، والألفة، بالضم: اسمٌ من الائتلاف وهى الأنس.

(تَنَاکَرَ) تنافرت في طبائعها. وتَنَاکَرَ القومُ: تعادوا، فهم مُتَنَاکِرُونَ، والمُتَنَاکِرَةُ: المُقَاتِلَةُ والمُحَارِبَةُ، ونَاكَرَهُ: قَاتَلَهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَحَارِبِينَ يُنَاكِزُ الْآخَرَ أَى يُدَاهِيهِ وَيُخَادِعُهُ. وَبَيْنَهُمَا مُنَاكَرَةٌ، أَى: مُعَادَاةٌ وَقِتَالٌ. وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُنَاكِزْ أَحَدًا إِلَّا كَانَتْ مَعَهُ الْأَهْوَالُ. أَى لَمْ يَحَارِبْ إِلَّا كَانَ مَنْصُورًا بِالرُّعْبِ⁽³⁾.

(اِخْتَلَفَ) تباعد وتباغض. ويقال أيضًا: القومُ خِلَفَةٌ، أى مختلفون⁽⁴⁾.

(1) تفسير ابن كثير 107/5

(2) تفسير غريب ما في الصحيحين ل محمد بن نصر الحميدى 362/1 والنهاية في غريب الحديث 306/1

(3) تاج العروس 287/14

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1355/4

المعنى العام للحديث:

إنَّ النبي ﷺ يوضح لنا أن أرواح المؤمنين تتقارب وتتعارف وتندمج وينجذب بعضها إلى بعض في الخير، كذلك أهل الفسوق والعصيان ينجذب بعضهم لبعض في الشر، وخلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد فمنها ما تعارف وتشابه ومنها ما اختلف وتنافر.

ومن الظواهر التي نراها في الاجتماعات العامة ميل كل امرئ إلى من يشاكله ويناسبه روحاً وخلقاً، أو ديناً وأدباً، أو حرفةً وعملاً، فترى المجتمعين بعد مدة وجيزة من بدء الاجتماع قد انقسموا جماعات تتحدث كل جماعة في شؤونها الخاصة، وأمورها المشتركة، وربما لم يكن قبل هذا اجتماع ولا تعارف، ولا تحاصم فما سر هذا التآلف والتحاب؟ وما علة هذا الاختلاف والتنافر؟

ذلك ما بيّنه الرسول ﷺ فهو يوضح لنا: «إن أرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة فالتى بينها تعارف، وتوافق، يألف بعضها بعضاً، ويفرح للقائه. لاتفاق في المبدأ، وتقارب في الروح»⁽¹⁾.

أما التى بينها تباعد وتغاير فإنها تختلف، وينفر بعضها من بعض ولا يود لقاءه، فالأخيار الأبرار الأعماد الأطهار إذا وجدوا فى مجتمع جذبهم أشباههم، أو انجذبوا إليهم، وسرى بينهم تيار من المحبة جمع قلوبهم، ووثق فيها روابط الصلة وعرى الإخاء والمودة.

(1) الأدب النبوى 108/1 و 109 ح 40 بتصرف واختصار.

الشرح والتفصيل:

قوله ﷺ (الْأَرْوَاحُ) جمع روح وهي خَلْق من أعظم مخلوقات الله شرفها الله غاية التشريف فقال: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (1).

واختص سبحانه وتعالى بالعلم الكامل بماهية ومكنون الروح، فهي من أمر الله وحده، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبٍ (2) الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (3).

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ p فِي (مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ): اختلف الناس في الروح والنفس والحياة وهل الروح هي الحياة أو غيرها؟ وهل الروح جسم أم لا؟ فَقَالَ النَّظَّامُ: الروح هي جسم وهي النفس وزعم أن الروح حي بنفسه. وَقَالَ آخَرُونَ: الروح عرض. وَقَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ حَرْبٍ: لَا نَدْرِي الروح جَوْهَرٌ أَوْ عَرْضٌ، كَذَا قَالَ، وَاعْتَلُّوا فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} وَلَمْ يَخْبِرْ عَنْهَا مَا هِيَ لَا أَنَّهَا جَوْهَرٌ وَلَا عَرْضٌ، قَالَ: وَكَانَ الْجَبَائِي يذهب إلى أن الروح جسم، وَأَنَّهَا غير الحياة

(1) سورة الحجر الآية 29 وسورة ص الآية 72

(2) يَكْسُرُ الْحَاءَ وَفَتْحَ الرَّاءِ وَفِي آخِرِهِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: جمع خربة. والخراب ضد العِمَارَةِ. عمدة القارى 200/2

(3) أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن بَابُ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: 85] 87/6 ح 4721

ومسلم في كتاب صفة القيامة بَابُ سُؤَالِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ 2152/4 ح 32

والحياة عرض، ويعتل بقول أهل اللغة: "خرجت روح الإنسان" وزعم أن الروح لا تجوز عليها الأعراض⁽¹⁾.

قال الإمام ابن القيم بعدما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم؛ وذكر عدة مذاهب وزيفها؛ ثم قال:

والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حتى متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسرى فيها سرعان الماء في الورود، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف؛ بقي هذا الجسم اللطيف متشابها بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

وقال ابن القيم: هذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة⁽²⁾.

سبب الحديث:

عن عمرة بنت عبد الرحمن¹ قالت: كان بمكة امرأة مراحة فنزلت على امرأة مثلها، فبلغ ذلك عائشة¹ فقالت: صدق حيي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، قال: ولا أعلم إلا قال في الحديث: ولا تعرف تلك المرأة⁽³⁾.

(1) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري 254/2 باختصار.

(2) الروح لابن القيم 175/1: 179 باختصار.

(3) أخرجه أبو يعلى في مسنده 344/7 وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 88/8

أين يحصل تعارف الأرواح؟

يرى فريق من العلماء: أنَّ تعارف الأرواح أو تناكرها كان في بداية الخلق ونشأته في عالم الأزل، قال الخطابي p: معنى الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد التي هي ملابستها على ما روى في الحديث (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِكَذَا كَذَا عَامًا) فأعلم النبي ﷺ أنها خُلِقَتْ أَوَّلَ مَا خُلِقَتْ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْ اثْتَلَاثٍ أَوْ اخْتِلَافٍ كَالْجُنُودِ الْمَجْنُودَةِ إِذَا تَقَابَلَتْ وَتَوَاجَهَتْ

ومعنى تقابل الأرواح: ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة في مبدأ الكون والخلقة، كما روى في حديث عبد الله بن عمر K أن النبي ﷺ قال: إِنْ الْمَلِكُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَخَ الرُّوحَ فِي النَّسَمَةِ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْعِدْ أَمْ شَقِّ؟ أَكَافِرٌ أَمْ مُؤْمِنٌ؟ يقول ﷺ: إِنْ الْأَجْسَادُ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ تَلْتَقِي فِي الدُّنْيَا فَتَأْتِلِفُ وَتَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ مَا جَعَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاكُلِ أَوْ التَّنَافُرِ فِي بَدْءِ الْخَلْقَةِ، وَلِذَلِكَ تَرَى الْبَرَّ الْخَيْرَ يُحِبُّ شَكْلَهُ وَيَحْنُ إِلَى قَرْبِهِ وَيَنْفِرُ عَنْ ضَدِّهِ، وَكَذَلِكَ الرَّهَقُ الْفَاجِرُ يَأْلَفُ شَكْلَهُ وَيَسْتَحْسِنُ فِعْلَهُ وَيَنْحَرِفُ عَنْ ضَدِّهِ⁽¹⁾.

وقيل المعنى: أن التعارف في الدنيا يكون بحسب تشابه الصفات، وتقارب الطباع، فالتى بينها تعارف وتوافق يألف بعضها بعضا ويفرح للقاءه، لاتفاق في المبدأ وتقارب في الروح، أما التى بينها تباعد وتغاير فإنها تختلف، وينفر بعضها من بعض ولا يود لقاءه. قَالَ الْخَطَّابِيُّ p: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْفُسَادِ، وَأَنَّ الْخَيْرَ مِنَ النَّاسِ يَحْنُ إِلَى شَكْلِهِ، وَالشَّرِيرَ نَظِيرُ ذَلِكَ يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِهِ، فَتَعَارَفُ الْأَرْوَاحُ يَقَعُ بِحَسَبِ الطَّبَاعِ الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِذَا اتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ وَإِذَا اخْتَلَفَتْ تَنَافَرَتْ⁽²⁾.

(1) معالم السنن 115/4

(2) فتح البارى 369/6

فضل الحب في الله

وَإِذَا أَكْرَمَكَ اللَّهُ بِأَخٍ تَحِبُّهُ فِي اللَّهِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَخْبِرَهُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَخْبِرَهُ بِذَلِكَ اسْتَمَالَ قَلْبَهُ وَاجْتَلَبَ وَدَّهِ فَبِالضَّرُورَةِ يُحِبُّهُ فَيَحْصُلُ الْاِتِّتِلَافُ وَيَزُولُ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ⁽¹⁾ فَعَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدَى كَرَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ»⁽²⁾، وَإِنَّمَا يَخْبِرُهُ بِحُبِّهِ لِيُزَادَ حُبًّا لَهُ وَيَبَادِلَهُ هَذَا الْحُبَّ، وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ: لَقَدْ أَحْبَبْتُ فِي اللَّهِ ﷻ أَلْفَ أَخٍ كُلُّهُمْ أَعْرِفُ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَقَبِيلَتَهُ وَمَكَانَ دَارِهِ⁽³⁾.

والحب في الله له أجر عظيم يصل به المؤمن لأعلى الدرجات عند الله ﷻ.
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ⁽⁴⁾.
قال ابن الجوزي p: وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الثَّوَابَ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَتْ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصَةً لَا يَشُوبُهَا شَيْءٌ مِنَ الْكَدْرِ، وَمَتَى قَوِيَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقَلْبِ قَوِيَتْ مَحَبَّةُ أَوْلِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مَنْ يُؤَاخِي وَمَنْ يُحِبُّ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَيَّرَ إِلَّا مَنْ قَدْ سَلِمَ عَقْلُهُ وَدِينُهُ⁽⁵⁾.

قال الغزالي p: وَأَوْصَى عُلُقَمَةُ الْعِطَارْدِي ابْنَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ صَحْبَةَ إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ بِالْخَيْرِ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير 60/1

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الزهد باب إخبار الرجل بمحبته إياه 322/4 ح 5124 وأخرجه الترمذی في كتاب الزهد باب ما جاء في إعلام الحب 599/4 ح 2392 وقال: حسن صحيح.

(3) التبصرة لابن الجوزي 276/2

(4) رواه مالك في الموطأ في كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله 953/2 ح 16 قال ابن عبد البر: وإسناده صحيح. (التمهيد) 126/21

(5) التبصرة 276/2

رأى سيئة سدها، ومن إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمرا أمدك، وإن تنازعتما في شيء آثرك، وقال علي عليه السلام:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ . . . وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَّكَ . . . شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك.

وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع.

وَأَمَّا الْحَرِيسُ عَلَى الدُّنْيَا فَصُحْبَتُهُ سُمْ قَاتِلٌ لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشْبِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِلِ الطَّبْعِ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مَنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي صَاحِبُهُ، فَمَجَالَسَةُ الْحَرِيسِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمَجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا فَلِذَلِكَ تَكْرَهُ صَحْبَةَ طُلَّابِ الدُّنْيَا وَيَسْتَحِبُّ صَحْبَةَ الرََّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ.

قال علي عليه السلام: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه. وقال لقمان: يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَزَاوَاهُمْ يَرْكَبُكَ فَإِنَّ الْقُلُوبَ لَتَحْيَا بِالْحِكْمَةِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ بَوَابِلِ الْقَطْرِ (1).

قال أبو حاتم عليه السلام: سبب ائتلاف الناس وافتراقهم بعد القضاء السابق هو تعارف الروحين وتناكر الروحين فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما (2).

وأنشد أحمد بن محمد بن بكر الأبنأوى:

(1) إحياء علوم الدين 2/172 و 173 باختصار.

(2) روضة العقلاء لابن حبان 108/1

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ *** قَوْلُ الرَّسُولِ فَمَنْ ذَا فِيهِ يَخْتَلِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ *** وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ⁽¹⁾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ
اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَتَيْنَ تَرْيِدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ
الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُدُّهَا؟ قَالَ: لَا؛ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ،
قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ⁽²⁾.

قال النووي p: فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَبٌ حُبِّ اللَّهِ
تَعَالَى الْعَبْدَ وَفِيهِ فَضِيلَةُ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ وَالْأَصْحَابِ وَفِيهِ أَنَّ الْأَدَمِيَّ قَدْ يَرُونُ
الْمَلَائِكَةَ⁽³⁾.

قال المناوي p: وَأَفَادَ الْحَدِيثُ فَضْلَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِحُبِّ اللَّهِ، وَفَضْلُ
زِيَارَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَحْبَابِ، وَأَنَّ الْأَدَمِيَّ يَرَى الْمَلِكَ وَيَكَلِّمُهُ.

قال الغزالي: زِيَارَةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ مِنْ جَوَاهِرِ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَفِيهَا الزَّلْفَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى
اللَّهِ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ ضُرُوبِ الْفَوَائِدِ وَصِلَاحِ الْقُلُوبِ؛ لَكِنْ بِشَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا
يُخْرَجَ إِلَى الْإِكْتِنَارِ وَالْإِفْرَاطِ.

الثاني: أَنْ يَحْفَظَ حَقَّ ذَلِكَ بِالتَّجَنُّبِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّزِينِ وَقَوْلِ اللَّغْوِ وَالْغِيْبَةِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ⁽⁴⁾.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ
الْمُتَحَابُّونَ بِيَّالَى، الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»⁽⁵⁾.

(1) المقاصد الحسنة للسخاوي 105/1

(2) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب في الحب في الله 4/1988 وأحمد في مسنده 40/16

(3) شرح النووي على مسلم 124/16 ح 38

(4) فتح القدير 61/4 ح 5880

(5) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب في الحب في الله 4/1988 ح 37

التحذير من صحبة الفجار والأشرار:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَرْنَا مِنْ مَصَاحِبَةِ أَصْدِقَاءِ السُّوءِ؛ فَإِنَّهُمْ يَفْسِدُونَ الْأَخْلَاقَ وَيَصْرِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»⁽¹⁾.

وإنما حذر ﷺ من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المشاركة في الطعام توقع الألفة والمودة في القلوب، يقول لا توالف من ليس من أهل التقوى والورع ولا تتخذ جليسا تطاعمه وتصاحبه.

ومصاحبة كامل الإيمان أولى، لأن الطباع يقتبس بعضها من بعض، ومن ثم قيل: صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ، وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ. كالريح إذا مرت على الأشياء النتنه حملت ننتا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا.

وقال الشافعي: ليس أحد إلا له حُبٌّ ومُبْغَضٌ، فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله. قال تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}. ومن ثم قيل:

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره .. وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد⁽²⁾
وقوله ﷺ (لا تُصَاحِبْ) أى: لا تتخذ صاحبا؛ لأن الصاحب صاحب كما قيل، والإنسان يتأثر بمن يخالطه ولا محالة، ولو قال: أنا واثق من نفسي، وأنا أعرف أنني لا أتأثر، لا، لابد أن الإنسان يتأثر بالخلطاء شاء أم أبى.

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالَسَ 259/4 ح 4832 وأخرجه الترمذى في كتاب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن 600/4 ح 2395 وقال: هذا حديث حسن.

(2) معالم السنن للخطابي 114/4 و115 وفيض القدير 405/6

فصحبة الأخيار تُورث الفلاح والنجاح وَتُجَرِّد النظر الى أهل الصّلاح يُؤثر صلاحًا وَالتَّظَرُّ إلى الصُّور يُؤثر كدوام النَّظَر الى المَحْزُون يُحْزِن، وإلى المسرور يَسُر، والجمل الشُّرود يصير ذلولًا بمقارنة الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان بل في النَّبات والجماد فَفِي النُّفوس أُولَى، وإنما سُمِّي الإنسان إنسانًا لأنه يأنس بما يراه من خير وَشَر⁽¹⁾.

وأكد النبي ﷺ على تلك المعاني العظيمة، فشبّه الصديق الصالح والجليس الصالح ببائع المسك والطيب، فبمجاورته ومجالسته تنتفع به، كذلك مصاحبة أصدقاء السوء يصيبك من مخالطته أذى، وتكون مجالستهم سببًا لقسوة القلب، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُخَذِّبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"⁽²⁾ وتخيل كم من فائدة تجنيها من مجالسة الأخيار، وكم من معصية وضرر يصيبك من مجالسة الأشرار.

ما يستفاد من الحديث:

- 1- أَنْ تَعَارَفَ الْأَرْوَاحُ أَوْ تَنَافَرَتْ فِي بَدَايَةِ الْخَلْقِ وَنَشَأَتِهِ فِي عَالَمِ الْأَزَلِ، وَأَنَّ الْأَرْوَاحَ تَتَعَارَفُ وَتَتَلَقَّى فِي الدُّنْيَا، فَيَنْجَذِبُ كُلُّ صِنْفٍ إِلَى صِنْفِهِ، فَالْأَخْيَارُ يَجْلِسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ وَالْفُسُوقِ يَنْجَذِبُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.
- 2- فَضْلُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّ صَحْبَةَ الصَّالِحِينَ تَجْلِبُ لِلْمُؤْمِنِ كُلِّ خَيْرٍ، وَصَحْبَةُ الْفَجَّارِ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا فَلَا يَدُ أَنْ يَلْحَقَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَحْبَتِهِمْ أَذَى.

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي 494/2 و495

(2) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد باب المسك 96/7 ح 5534 ومسلم في الصحيح كتاب البر

والصلة باب استحباب مجالسة الصالحين 2026/4 ح 146

- 3- أن الله ﷻ هو الذى يعلم ماهية الروح وسر مكنونها، وأن الروح لها خواص تختلف عن خواص الجسم، وأن أرواح المؤمنين لها قوة نورانية لاتصالها بالله ﷻ.
- 4- صُحبة الأخيار تُورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر والفساد، كدوام النَّظر الى المَحْزُون يُحْزِن، وإلى المسرور يَسُر، والطباع يقتبس بعضها من بعض.
- 5- سبب ائتلاف الناس وافتراقهم بعد القضاء السابق هو تعارف الروحين وتناكر الروحين فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما.
- 6- إذا أحب الرجل أخاه فى الله فعليه أن يخبره بذلك؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ استمال قلبه واجتلب ودّه فبالضرورة يُجِبُّهُ فَيَحْصُلُ الْإِئْتِلَافُ وَيَزُولُ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

والله أعلم.

الحديث الثالث

فَضْلُ الرَّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة 1 زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (1).

الراوي الأعلى للحديث:

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ الصِّدِّيقَةُ عَائِشَةُ بِنْتُ الْإِمَامِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بْنِ مُرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَى الْقُرَشِيِّ، التَّيْمِيِّ، الْمَكِّيِّ، النَّبَوِيِّ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَفْقَهُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَأُمُّهَا: هِيَ أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرٍ بْنِ عُومِرٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أُذَيْنَةَ الْكِنَانِيَّةِ.

ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وتزوجها نبي الله ﷺ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيقَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ 1، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِبِضْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِعَامَيْنِ.

وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ، مُنْصَرَفَهُ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ. فِي الصَّحِيحِ عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ 1، قَالَتْ: «تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ» (2).

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق 204/4 ح 78

(2) رواه مسلم في كتاب النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة 1039/2 ح 71

ولم ينكح النبي ﷺ بكرة غيرها، وهو متفق عليه بين أهل النقل، وكانت تكنى أم عبد الله، فقيل: إنها ولدت من النبي صلى الله عليه وسلم ولداً فمات طفلاً، ولم يثبت هذا. وقيل كناها بابن أختها عبد الله بن الزبير¹. وكانت أحب نساء النبي ﷺ إليه، عن أنس² قال: قيل: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال. قال: أبوها⁽¹⁾.

وفي الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإننا نريد الخير كما تريد عائشة، فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلى ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذي في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها»⁽²⁾.

وعن أبي موسى³، قال: قال رسول الله ﷺ: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام⁽³⁾.

قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد مالا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة: نفعه

(1) رواه الترمذی فی کتاب المناقب باب فضل عائشة رضی الله عنها 190/6 ح 3890

(2) رواه البخاری فی کتاب المناقب باب فضل عائشة رضی الله عنها 130/5 ح 1775

(3) رواه البخاری فی کتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ}

[التحریم: 11] 158/4 ح 3411

وَالشَّبَعُ مِنْهُ وَسُهُولُهُ مَسَاغِهِ وَاللِّتْدَادُ بِهِ وَتَيَسَّرُ تَنَاوُلُهُ وَتَمَكُّنُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَخْذِ كِفَايَتِهِ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْقِ كُلِّهِ وَمِنْ سَائِرِ الْأَطْعِمَةِ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ زَائِدٌ كَزِيَادَةِ فَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَلَيْسَ فِي هَذَا تَصْرِيحٌ بِتَفْضِيلِهَا عَلَى مَرْيَمَ وَآسِيَةَ لِاحْتِمَالِ أَنَّ الْمُرَادَ تَفْضِيلُهَا عَلَى نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ (1).

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ 1 قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَى غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَى غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ (2).

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ 1 أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ " فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَذْرَكْتَهُمُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَتَزَلَّتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ فَقَالَ: أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَهً (3).

قال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة 1 قال: حدثني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله. وقال أبو الصّحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

(1) شرح النووي على مسلم 199/15 ح 69

(2) رواه البخارى فى كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدته 36/7 ح 5228 ومسلم فى كتاب فضائل

الصحابه ﷺ باب فضائل عائشة 1 1890/4 ح 80

(3) رواه البخارى فى كتاب المناقب باب فضل عائشة 1 29/5 ح 3773

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة 1 أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقهه ولا بطب ولا بشعر من

عائشة 1.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا.

وقال الزهري: لو جمع علم عائشة 1 إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وأسند الزبير بن بكار عن أبي الزناد قال: ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة، فقليل له: ما أرواك! فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا.

وقال أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن غالب: أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَارٍ فَقَالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا، أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ، وَأَعْلَمَهُمْ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ.

روت عن: النبي ﷺ الكثير الطيب، وعن أبيها أبي بكر الصديق، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن الخطاب، وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وغيرهم. وروى عنها عروة بن الزبير، وأبو هريرة، وابن عباس وغيرهم الكثير.

بلغ مسندها 1 ألفين ومائتين وعشرة أحاديث (2210) اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

جاء ابن عباس K يستأذن على عائشة 1 وهي في الموت.
قال: فجننت، وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، فقلت: هذا ابن
عباس يستأذن.

قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به ولا بتزكيتيه.
فقال عبد الله: يا أمه! إن ابن عباس من صالحى بينك يودعك ويسلم عليك.
قالت: فأنذرت له إن شئت.

قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أن تفارقي
كل نصيب وتلقى محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تفارق رُوحك جسداً.
قالت: إنها يا ابن عباس.

قال: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ -يعني: إليه- ولم يكن يحب إلا طيباً،
سقطت قلاذتك ليلة الأواء، وأصبح رسول الله ﷺ ليلقطها، فأصبح الناس ليس
معهم ماء، فأنزل الله: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (1)، فكان ذلك من سببك، وما أنزل
الله بهذه الأمة من الرخصة، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات،
فأصبح ليس مسجداً من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تثنى فيه آناء الليل
والنهار.

قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فوالله لوددت أني كنت نسيًا منسياً.
وعن سالم سبلان: أنها ماتت في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان بعد
الوتر، فأمرت أن تدفن من ليلتها. فاجتمع الأنصار، وحضروا، فلم ير ليلة أكثر
ناساً منها، نزل أهل العوالي، فدُفنت بالبقيع، ومدة عمرها: ثلاث وستون سنة،
وأشهر.

(1) سورة النساء من الآية 42

وتوفيت 1 سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ⁽¹⁾.

معاني المفردات:

(الرَّفَقُ): بِالْكَسْرِ ضِدُّ الْعُنْفِ وَهُوَ لِينُ الْجَانِبِ وَاللُّطْفُ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ إِلَيْهِ، وَرَفَقَ يَرْفُقُ رَفْقًا فَهُوَ رَفِيقٌ بِكَذَا وَكَذَا. والرفق في كل أمر أخذه بأحسن وجوهه وأقربها وفلان رفيق بفلان ورافق به. وأرفقه يرفقه إرفاقاً، إذا أوصل إليه رفقاً. (2)
(إِلَّا زَانَهُ) أَيْ زَيْنَهُ وَكَمَلَهُ، وَ(الزَّيْنَةُ) مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ، وَيَوْمُ الزَّيْنَةِ يَوْمُ الْعِيدِ. وَ(الزَّيْنُ) ضِدُّ الشَّيْنِ وَ(زَانَهُ) مِنْ بَابِ بَاعَ، وَيُقَالُ: (أَزَيْنْتَ) الْأَرْضَ بُعْثِبَهَا وَ(أَزَيْنْتَ) مِثْلَهُ، وَأَصْلُهُ تَزَيْنْتُ فَأُدْغِمَ. وَقَالَ الْحَرَالِي: الزَّيْنَةُ تَحْسِينُ الشَّيْءِ بغيره من لبسةٍ أو حليَةٍ أو هيئَةٍ.

وقال الراغب: الزَّيْنَةُ: الْحَقِيقَةُ مَا لَا يُشِينُ الْإِنْسَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، أَمَّا مَا يُزِينُهُ فِي حَالِهِ دُونَ حَالِهِ فَهُوَ مِنْ وَجْهِ شَيْنٍ، وَالزَّيْنَةُ بِالْقَوْلِ الْمُجْمَلِ ثَلَاثٌ: {زَيْنَةُ نَفْسِيَّةٌ كَالْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ الْحَسَنَةِ} وَزَيْنَةُ بَدَنِيَّةٌ كَالْقُوَّةِ وَطَوِيلُ الْقَامَةِ وَحُسْنُ الْوَسَامَةِ، وَزَيْنَةُ خَارِجِيَّةٌ كَالْمَالِ وَالْجَاهِ ⁽³⁾.

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد 8/ 46 والنفقات للعجلي 2/ 455 ومعرفة الصحابة لابن منده 1/ 939

والاستيعاب 4/ 1881 وأسد الغابة 6/ 188 وسير أعلام النبلاء 2/ 135 والإصابة 8/ 231

(2) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض 1/ 296 وجمهرة اللغة 2/ 784 والعين 5/ 149

(3) مختار الصحاح 1/ 139 وتاج العروس 35/ 161

(وَلَا يُنْزَعُ): أَى لَا يُفْقَدُ وَلَا يُعَدَمُ، نَزَعْتُ الشَّيْءَ: قَلَعْتُهُ، أَنْزَعُهُ نَزْعًا، وَاَنْتَزَعْتَهُ
أَسْرَعَ وَأَخَفَ. وَنَزَعَ الْأَمِيرَ عَامِلًا عَنْ عَمَلِهِ، وَنَزَعَ الدَّلُوَ مِنَ الْبِئْرِ يَنْزِعُهَا نَزْعًا،
وَنَزَعَ بِهَا، كِلَاهُمَا: جَذَبَهَا بِغَيْرِ قَامَةٍ⁽¹⁾.

(مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) أَى: عَيَّبَهُ وَنَقَّصَهُ، يُقَالُ: شَانَهُ يَشِينُهُ شَيْنًا: (صِدُّ زَانَهُ)
أَى عَابَهُ، وَالْمَشَايِنُ: الْمَعَايِبُ وَالْمَقَابِحُ⁽²⁾.

المعنى العام للحديث:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُنَا بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَالْأَخْذَ بِأَيْسَرِ الْوُجُوهِ وَأَقْرَبِهَا
وَأَحْسَنِهَا (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، (وَلَا يُنْزَعُ
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) أَى عَابَهُ وَقَبَّحَهُ.

وَالَّذِي يُحْرَمُ مِنَ الرَّفْقِ يُحْرَمُ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ بِعِبَادِهِ يُحِبُّ الرَّفْقَ
وَالرَّحْمَةَ، فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ إِلَّا كَانَ زِينَةً لِهَذَا الْإِنْسَانِ، وَمَا كَانَ فِي
عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا وَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ جَمِيلًا، وَمَا نَزَعَ هَذَا الرَّفْقُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَانَ
شَيْنًا عَلَى صَاحِبِهِ، وَعَلَى الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ، فَكَانَ رَفِيقًا، فَالرَّفْقُ نَتِيجَةُ حِلْمِ
الْإِنْسَانِ، وَالْإِنْسَانُ الْحَلِيمُ مُحَبَّبٌ إِلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، وَمُحَبَّبٌ إِلَى النَّاسِ.

وَقَدْ يَكُونُ الرَّفْقُ أَيْضًا بِمَعْنَى التَّمَهُّلِ فِي الْأَمْرِ وَالتَّأْنِي فِيهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الرَّفْقَ فِي
حَقِّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى الْحِلْمِ، فَإِنَّهُ لَا يَعَجَلُ بِعَقُوبَةِ الْعَصَاةِ بَلْ يَمْهَلُ لِيَتُوبَ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ
السَّعَادَةُ وَيَزِدَّادَ غَيْرِهِ إِثْمًا، قَالَ ابْنُ رِسْلَانٍ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا الْمَعْنَى أَلِيقٌ بِالْحَدِيثِ
فَإِنَّهُ سَبَبُ الْحَدِيثِ⁽³⁾.

(1) العين 357/1 والمحکم والخیط الأعظم 524/1

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر 521/2 وتاج العروس 235/35

(3) دليل الفالحين 89/5

وَمِنَ الْخِصَالِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الْعَبْدُ مَقَامَ الْإِحْسَانِ: الرَّفْقُ وَالْأَنَاةُ، وَالْحِلْمُ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ، وَطَلَاةُ الْوَجْهِ، فَاَلْمُؤْمِنُ رَفِيقٌ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ، رَفِيقٌ فِي مَعَامَلَةِ أَهْلِهِ وَوَالِدِيهِ، وَفِي مَعَامَلَةِ إِخْوَانِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، وَفِي مَعَامَلَةِ عَامَةِ النَّاسِ يَكُونُ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرَّفْقِ بِالنَّاسِ.

فَعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ، يُحَرِّمِ الْخَيْرَ»⁽¹⁾ وَهَذَا لِأَنَّ عُمُومَ الْأَشْيَاءِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالرَّفْقِ، فَإِذَا حَرَمَهُ الْإِنْسَانُ لَا يَتِمُّ عَمَلُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ.

سبب الحديث:

ما رواه أبو داود في سننه عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ الْبَدَاوَةِ، فَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التَّلَاعِ -مَجَارَى الْمَاءِ مِنْ فَوْقَ إِلَى أَسْفَلِ- وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبَدَاوَةَ مَرَّةً فَأَرْسَلَ إِلَى نَاقَةٍ مُحَرَّمَةٍ -يَعْنِي لَمْ تُرْكَبْ- مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي فَإِنَّ الرَّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ»⁽²⁾.

وَقَالَ الْخُطَّابِيُّ **p**: النَّاقَةُ الْمُحَرَّمَةُ الَّتِي لَمْ تُرْكَبْ وَلَمْ تُدَلَّلْ فَهِيَ غَيْرُ وَطِئَةٍ، وَيُقَالُ أَعْرَابِي مُحَرَّمٌ إِذَا كَانَ جِلْفًا لَمْ يُخَالِطْ أَهْلَ الْحَضَرِ⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلوة باب فضل الرفق 2003/4 ح 74 وأبو داود في كتاب الأدب باب في الرفق 255/4 ح 4809

(2) رواه أبو داود في كتاب الأدب باب الرفق 255/4 ح 4808 وابن أبي شيبه في مصنفه كتاب الأدب باب ما ذكر في الرفق والتؤدة 209/5 ح 25304 وأحمد في مسنده، مسند عائشة رضي الله عنها 415/41 ح 24938 وإسناده صحيح.

(3) معالم السنن 113/4

الشرح والتفصيل:

كان النبي ﷺ الرفق منهجه، واللين واللفظ سجيته وفطرته، وقال له ربه ﷻ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (1). وأمر النبي ﷺ بالرحمة والرفق في جميع مجالات الحياة، فأمر بالرفق ورغب فيه، فقال: "يسرّوا ولا تعسرّوا، وبشّروا ولا تنفّروا" (2).

قال الإمام النووي P: إِنَّمَا جَمَعَ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَفْعَلُهُمَا فِي وَفْتَيْنِ فَلَوْ افْتَصَرَ عَلَى يَسَّرُوا لَصَدَقَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسِرْ مَرَّةً أَوْ مَرَاتٍ وَعَسَّرَ فِي مُعْظَمِ الْحَالَاتِ، فَإِذَا قَالَ وَلَا تُعَسِّرُوا انْتَفَى التَّعْسِيرُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

قال: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْأَمْرُ بِالتَّبَشِيرِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَالتَّنْهِى عَنِ التَّنْفِيرِ بِذِكْرِ التَّخْوِيفِ وَأَنْوَاعِ الْوَعِيدِ مُحَضَّةً مِنْ غَيْرِ ضَمِّهَا إِلَى التَّبَشِيرِ.

وَفِيهِ تَأْلِيفٌ مِنْ قَرَبِ إِسْلَامِهِ وَتَرْكِ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَارَبَ الْبُلُوغَ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَمَنْ بَلَغَ وَمَنْ تَابَ مِنَ الْمَعَاصِي، كُلُّهُمْ يُتَلَطَّفُ بِهِمْ وَيُدْرَجُونَ فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَةِ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورُ الْإِسْلَامِ فِي التَّكْلِيفِ عَلَى التَّدْرِيجِ فَمَتَى يُسَّرَ عَلَى الدَّخْلِ فِي الطَّاعَةِ أَوْ الْمُرِيدِ لِلدُّخُولِ فِيهَا سَهِّلَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ غَالِبًا التَّزَايُدُ مِنْهَا، وَمَتَى عَسَرَتْ عَلَيْهِ أَوْ شَكَّ أَنْ لَا يَدْخُلُ فِيهَا؛ وَإِنْ دَخَلَ أَوْ شَكَّ أَنْ لَا يَدُومُ أَوْ لَا يَسْتَحْلِيهَا (3).

(1) سورة آل عمران من الآية 159

(2) جزء من حديث أخرجه البخارى في كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» وَكَانَ يُحِبُّ

التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ 30/8 ح 6124

(3) شرح النووي على مسلم / 41 ح 1734

رفق النبي ﷺ ورحمته في معاملة أصحابه:

كان النبي ﷺ رفيقا لنا هينا سهلا في تعاملاته، وفي أقواله، وأفعاله، وكان يحب الرفق في جميع أموره، ويحث الناس عليه ويرغبهم فيه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ (1).

قَالَ الْعُلَمَاءُ فِيمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ: كَانَ قَوْلُهُ ﷺ (دَعْوَهُ) لِمَصْلَحَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ لَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ بَوْلُهُ تَضَرَّرَ وَأَصْلُ التَّنْجِيسِ قَدْ حَصَلَ فَكَانَ اخْتِمَالُ زِيَادَتِهِ أَوَّلَى مِنْ إِبْقَاعِ الضَّرَرِ بِهِ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ التَّنْجِيسَ قَدْ حَصَلَ فِي جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَوْ أَقَامُوهُ فِي أَثْنَاءِ بَوْلِهِ لَتَنَجَّسَتْ ثِيَابُهُ وَبَدَنُهُ وَمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ (2).

لقد كان النبي ﷺ رفيقا ورحيما بهذا الأعرابي لجهلة بأحكام المسجد، فالتمس له العذر ولم يعنفه، وإنما علمه برفق ولين.

(1) أخرجه البخاري مختصرا في كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله 12/8 ح 6025 وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد 236/1 ح 100 وقوله (لَا تُزْرِمُوهُ) هُوَ بَضَمُ النَّاءِ وَإِسْكَانِ الزَّايِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ أَيْ لَا تَقْطَعُوا، وَالْإِزْرَامُ الْقَطْعُ، (مه مه) هي كلمة زجر قال العلماء: هو اسم مبني على السكون معناه اسكت أو لا تفعل، (فشنه) يروى بالشين المعجمة وبالمهملة (فشنه) وهو في أكثر الأصول والروايات بالمعجمة، ومعناه صبه، وفرق بعض العلماء بينهما فقال: هو بالمهملة الصب في سهولة، وبالمعجمة التفريق في صبه.

(2) شرح النووي على مسلم 191/3

قال الحافظ العراقي: وفيه أنَّ جاهل الحُكْم بالتَّحْرِيم إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ فِي بَادِيَةِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْعُلَمَاءِ لَا يُعَزِّرُ عَلَى ذَلِكَ الْمُحَرَّم، وَلَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُّ إِنْ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ فِيهَا حَدًّا، وَهِيَ حَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ هَذَا أَعْرَافِي نَشَأَ بِالْبَادِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لَا يَجُوزُ الْبُولُ فِيهَا، فَلَمْ يُعَاقِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يُؤَنِّبْهُ، ثُمَّ عَلَّمَهُ الْحُكْمَ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْوُقُوعِ بِهِ وَعَنِ الصِّيَاحِ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

وَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلرَّفْقِ وَالرَّحْمَةِ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ بِقَوْلِهِ: (فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)⁽²⁾.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ»⁽³⁾. وفي الحديث: استحباب ملاطفة الناس، وتسهيل الجانب لهم وقضاء حوائجهم.

وكان النبي ﷺ يعلم الجاهل برفق ولين، لا بغلظة وجفاء، فكان نعم المعلم والمربي، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلْ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونِي لِكَيْ سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَبَّأَنِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا

(1) طرح التشريب في شرح التقريب 138/2

(2) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد 54/1 ح 220

(3) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة 654/4 ح 2488 وقال: هذا حديث حسن غريب. وأبو يعلى

في مسنده - عبد الله بن مسعود 467/8 ح 5053

شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّنْسِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»⁽¹⁾.

ومن رفقته عليه السلام أنه كان يُخفف من صلاته ولا يطيلها، رحمة بأصحابه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»⁽²⁾.
ويأمر من صلى إماماً بالناس أن يرفق بحالهم فلا يطيل الصلاة، مراعاة لضعيفهم ومريضهم وصاحب الحاجة.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ صلى الله عليه وسلم قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْقَرِنِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»⁽³⁾.

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم الْأَشَجَّ أَشَجَّ عَبْدَ الْقَيْسِ رضي الله عنه بِالْحِلْمِ وَالرَّفْقِ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءَةُ"⁽⁴⁾.

أما الحلم فهو العقل، وأما الأناءة فهي التثبت وترك العجلة.

وفي رواية أبي داود عن أُمِّ أَبَانَ بِنْتُ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ عَنْ جَدِّهَا زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا، فَتَقَبَّلَ يَدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

(1) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما

كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ 381/1 ح 33 وأبو داود في كتاب الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة 244/1

(2) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي 143/1 ح 709 ومسلم في

كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام 343/1 ح 192

(3) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله 27/8 ح 6110 ومسلم

في كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام 341/1 ح 186

(4) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله 48/1 ح 25

وَرَجُلَهُ، قَالَ: وَانْتَظِرِ الْمُنْذِرُ الْأَشْجُ حَتَّى آتَى عَيْبَتَهُ فَلَيْسَ ثَوْبِيهِ ثُمَّ آتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ؛ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ⁽¹⁾.

رفقه ﷺ بالضعفاء والنساء:

أوصى النبي ﷺ بالرفق والرحمة خاصة بالضعفاء والفقراء والنساء والأطفال، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ غُلَامٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالْقَوَارِيرِ»⁽²⁾.

لقد أمر النبي ﷺ غلامه أنجشه بالرفق والرحمة بالنساء؛ حيث كان أنجشة حسن الصوت وكان يحدو أو ينشد الشعر والرجز، فكانت الإبل تسرع وتهتز من أثر الحداء، فأمره بالرفق في الحداء والإنشاد؛ لأن الحداء يحث الإبل حتى تسرع السير، فإذا مشت الإبل رويدا أمن على النساء السقوط، فقال له ﷺ: (ويحك) وهي كلمة ترحم وتوقع تقال لمن يقع في أمر لا يستحقه. و(أنجشة) غلام أسود حبشي كان مملوكا للنبي ﷺ يكنى أبا مارية، و(رويدك) اسم فعل بمعنى أمهل وارفق، وقيل معناها كفاك. (بالقوارير) جمع قارورة، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، وكفى بذلك عن النساء لضعف بنيتهن ورقتهن ولطافتهن، فشبهن بالقوارير من الزجاج.

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب قبلة الرجل 357/4 ح 5225 وقال المنذرى: حديث حسن. عون المعبود 92/14 ح 5225. وقال الهيثمي: وفيه أم أبان بنت الزارع روى لها أبو داود. وسكت على حديثها، فهو حسن، وثقة رجاله ثقات. مجمع الزوائد 389/9

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب قول الرجل ويلك 38/8 ح 6161 وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي ﷺ للنساء 1811/4 ح 70

وأمر الرجال بالرفق والرحمة مع أهلهم وذويهم ونسائهم، فعن عائشة 1 قالت: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (1).

قال الباجي **p**: وَمِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مُجَامَلَةُ الزَّوْجَةِ وَالْأَهْلِ وَمُعَاشَرَتُهُمْ وَالتَّوَسُّعَةُ عَلَيْهِمْ، قَالَ مَالِكٌ: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى أَهْلِ دَارِهِ حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، قَالَ فِي الْمُخْتَصَرِ: وَهُوَ فِي سَعَةٍ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَعَامٍ لَا يَأْكُلُ مِنْهُ عِيَالُهُ، وَيَلْبَسَ ثِيَابًا لَا يَكْسُوهُمْ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَكْسُوهُمْ وَيُطْعِمُهُمْ مِنْهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَمَّا أَدْخَلَ دَارَهُ مِنَ الطَّعَامِ (2).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ» (3).

قال الخطابي **p**: (تتكافأ دماؤهم) معناه أن أحرار المسلمين دماؤهم متكافئة في وجوب القصاص والقود لبعضهم من بعض، لا يفضل منهم شريف على وضيع، فإذا كان المقتول وضيعا وجب القصاص على قاتله، إن كان شريفا لم يسقط القود عنه شرفه، وإن كان القاتل شريفا لم يقتص له إلا من قاتله حسب. وكان أهل الجاهلية لا يرضون في دم الرجل الشريف بالاستقادة من قاتله؛ ولا يرونه بؤاء به؛ حتى يقتصوا من عدة من قبيلة القاتل، فأبطل الإسلام حكم الجاهلية،

(1) رواه الترمذی فی کتاب المناقب باب فی فضل أزواج النبی ﷺ 709/5 وقال: حسن صحيح.

(2) المنتقى شرح الموطأ 212/7.

(3) جزء من حديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب في السرية تروى على أهل العسكر 80/3 والنسائي في سننه في كتاب القسامة باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس 20/8 والحاكم في المستدرک کتاب قسم الفیء 153/2 ح 2623 وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وجعل المسلمين على التكافؤ في دمائهم، وإن كان بينهم تفاضل وتفاوت في معنى آخر.

قال: وقوله ﷺ (يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ) يريد أن العبد ومن كان في معناه من الطبقة الدنيا كالنساء والضعفاء الذين لا جهاد عليهم؛ إذا أجازوا كافرين أمضى جوارهم ولم تخفر ذمتهم.

وقوله ﷺ (وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ) فإن معنى اليد: المعاونة والمظاهرة إذا استنفروا وجب عليهم النفير، وإذا استنجدوا انجدوا ولم يتخلفوا ولم يتخاذلوا. قوله ﷺ (وَالْمُشَدِّ) المقوى (وَالْمُضْعِفُ) مَنْ كَانَتْ دَوَابُهُ ضَعْفًا، وجاء في بعض الحديث المضعف أمير الرفقة. يريد أن الناس يسيرون بسير الضعيف لا يتقدمونه فيتخلف عنهم ويبقى بمضيعة⁽¹⁾.

وقال السيوطي: ورؤى عن عمر K: قَالَ: الْمُضْعِفُ أَمِيرٌ عَلَى أَصْحَابِهِ، يَعْنِي فِي السَّفَرِ، وَأَرَادَ بِالْمُضْعِفِ: مَنْ كَانَتْ دَابَّتُهُ ضَعِيفَةً، فَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ يَسِيرُونَ بِسِيرِهِ⁽²⁾.

وعلى هذا فالأحسن للقائد والأمير أن يكون في مؤخرة الجيش والقافلة، انتظارا للعاجزين والمنقطعين، رفقا ورحمة بهم.

وأوصى النبي ﷺ بالرفق والرحمة في المعاملة مع الخدم والعمال وكل من كان تحت يدك ولك سلطة عليه بأن نحسن معاملتهم، ونطعمهم، ونكسوهم، ولا نعنفهم أو نجرح مشاعرهم.

عن المعرور بن سويد قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي

(1) معالم السنن 314/2

(2) عون المعبود 303/7

النبي ﷺ: «أَعْبَرْتُهُ بِأَمِّهِ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»⁽¹⁾.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ» فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ خَرُّ لُوجِهِ لِلَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارُ» أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ»⁽²⁾.

رفق النبي ﷺ بالبهائم والدواب:

وأمرنا النبي ﷺ باستعمال الرفق والشفقة حتى مع البهائم، ومراعاة إحساسها. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ K أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَهُوَ يَحْدُ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا»⁽³⁾. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا سَحَرَهَا لَكُمْ لَتُبْلَغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ»⁽⁴⁾.

قال القاري p: وَالْمَعْنَى لَا تَجْلِسُوا عَلَى ظُهُورِهَا فَتُوقِفُونَهَا، وَتُحَدِّثُونَ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَلْ انْزِلُوا وَاقْضُوا حَاجَاتِكُمْ ثُمَّ ارْكَبُوا.

(1) أخرجه البخاري في كتاب العتق باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم 149/3 ح 2545

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده 1281/3 ح 35

(3) أخرجه الحاكم في (المستدرک) كتاب الأضاحي - حديث شعبة 257/4 ح 7563 وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط البخاري.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الوقوف على الدابة 27/3 ح 2567 و قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: فِي إِسْنَادِهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ وَفِيهِ مَقَالٌ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ **p**: إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَاقِفًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى ظَهْرِهَا إِذَا كَانَ لِإِرْبٍ أَوْ بُلُوعٍ وَطَرٍ لَا يُدْرِكُ مَعَ التُّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ جَائِزٌ، وَأَنَّ النَّهْيَ انْصَرَفَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهَا لَا لِمَعْنَى يُوجِبُهُ، بَأَن يَسْتَوِطِنَهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَّخِذَهُ مَقْعَدًا، فَيَتَّعِبَ الدَّابَّةَ وَيَضُرَّ بِهَا مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ (1).

وقال المناوى **p**: والنهي مخصوص باتخاذ ظهورها مقاعد لغير حاجة، أما الحاجة لا على الدوام فجائزة، بدليل أن المصطفى ﷺ خطب على ناقته وهي واقفة. فيجب أن يعامل المسلم جميع الخلق عامة دون تفرقة بالرفق واللين والرحمة وعدم الجفاء والغلظة، فالسماحة كانت من أعظم صفات النبي ﷺ، فكان لا يفرق بين أهله وبين غيرهم في المعاملة، ولذلك أمرنا الإسلام بالرحمة والعطف والرفق في جميع أحوالنا، كما قال الحق جل جلاله: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} (2). ما يستفاد من الحديث:

1- فضيلة الرفق في جميع الأمور وأنه يزينها ويكملها، وإذا نُزِعَ الرفق من أمر عابه وقبحه.

2- ما كان عليه النبي ﷺ من رفق ولين جانب ورحمة في جميع معاملاته، فوصفه رب العزة جل وعلا بقوله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (3).

3- ينبغي على المسلم أن يتحلى بالرفق والرحمة خاصة مع الفقراء والضعفاء والنساء والأطفال.

(1) عون المعبود 169/7 ح 2567

(2) سورة الفتح من الآية 29

(3) سورة آل عمران من الآية 159

- 4- التوسط في العبادة وعدم التشدد فيها، وأن من تولى أمرا من أمور المسلمين يجب عليه أن يترفق بمن معه، وإن كان إماما فليخفف من صلاته مراعاة لمن خلفه من المرضى والعجائز والضعفاء وأصحاب الحاجات
- 5- عظمة الإسلام في الرفق ولين الجانب مع جميع الكائنات من إنسان، أو حيوان، أو دابة، فالرفق ولين الجانب من أعظم أخلاق الإسلام.
- 6- وأوصى النبي ﷺ بالرفق والرحمة في المعاملة مع الخدم والعمال وكل من كان تحت يدك ولك سلطة عليه بأن نحسن معاملتهم، ونطعمهم، ونكسوهم، ولا نعنفهم أو نجرح مشاعرهم.
- 7- استحباب ملاطفة الناس، وتسهيل الجانب لهم وقضاء حوائجهم.
- 8- الْأَمْرُ بِالتَّبَشِيرِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ وَسِعَةِ رَحْمَتِهِ وَالنَّهْيُ عَنِ التَّنْفِيرِ بِذِكْرِ التَّخْوِيفِ وَأَنْوَاعِ الْوَعِيدِ مُحَضَّةً مِنْ غَيْرِ ضَمِّهَا إِلَى التَّبَشِيرِ.
- والله أعلم.

الحديث الرابع

فَضْلٌ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبَأَى شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽¹⁾.

الراوي الأعلى للحديث:

الصحابي الجليل: أبو هريرة رضي الله عنه، سبقت ترجمته في الحديث الثاني.

معاني المفردات:

(الشَّدِيدُ): القوى الحقيقي، يقال: شئ شديد: بَيْنَ الشَّدَّةِ. والشَّدَّةُ بالفتح: الحملة الواحدة. وقد شَدَّ عليه في الحَرْبِ يَشُدُّ شَدًّا أَيْ حَمَلَ عَلَيْهِ⁽²⁾.

(بِالصُّرْعَةِ): بفتح الرَّاء الذي يغلب الرجال ويصرعهم، والصُّرْعَةُ بِسُكُونِ الرَّاءِ الَّذِي يَكْثُرُ صَرَعُ النَّاسِ لَهُ ضِدُّ الْأَوَّلِ، وَهَاءٌ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الصِّفَةِ، وَكُلُّ مَا جَاءَ بِهَذَا الْوَزْنِ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ كَهَمْزَةٍ وَلَمْزَةٍ وَخُفْظَةٍ وَضَحَكَةٍ وَخُدَعَةٍ. وَقَوْلُهُ (مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ) أَيْ أَبْوَاهَا، وَالْمِصْرَاعُ الْبَابُ، وَلَا يُقَالُ لَهُ مِصْرَاعٌ حَتَّى يَكُونَ اثْنَيْنِ⁽³⁾.

(يَمْلِكُ نَفْسَهُ): يكظم غيظه ويتحلم ولا يعمل بمقتضى غضبه.

(1) رواه البخاري في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب 28/8 ح 6114 ومسلم في كتاب البر والصلة

والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب 2014/4 ح 107

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 492/2

(3) غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام 203/3 ومشارك الأنوار على صحاح الآثار 42/2

المعنى العام للحديث:

إنَّ النبي ﷺ يُصحح لنا المفاهيم الخاطئة، فيعتقد بعض الناس أنَّ القوى هو الذى يستطيع أن يغلب ويصرع الآخرين، لكنَّ النبي ﷺ يبين لنا القوة الحقيقية مصدرها في أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، فأخبر ﷺ أنه ليس العجب في قُوَّة البدن، إنما العجب في قُوَّة النَّفس، فكمال قوة العبد: أن يمتنع من أن تؤثر فيه قوة الشهوة، وقوة الغضب، لأن الإنسان حينما يحتدم الحنق في قلبه، ويمتلئ غيظًا وغضبًا فإن السيطرة على النفس عند ذلك وكبح جماحها عن التعدى يحتاج إلى صبر عظيم. وأنشدوا في هذا المعنى:

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي كَتِيبَتَهُ ... يَوْمَ النَّزَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعَلُ
لَكِنْ فَتَى غَضٍّ طَرَفًا أَوْ ثَنَى بَصْرًا ... عَنِ الْحَرَامِ، فَذَاكَ الْفَارِسُ الْبَطْلُ⁽¹⁾

قال ابن بطال رحمه الله: مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، وأخبر أن ماعنده خير وأبقى لهم من متاع الحياة الدنيا وزينتها، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك، وقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»⁽²⁾.
أى: مَنْ اجْتَرَعَ غَضَبًا كَامِنًا فِيهِ (وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ) أَى: عَلَى إِنْفَاقِهِ، (دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَى: شَهَرَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَتَبَاهَى بِهِ، وَيُقَالُ فِي حَقِّهِ: هَذَا الَّذِي صَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْخُصْلَةُ الْعَظِيمَةُ (حَتَّى يُخَيِّرَهُ) أَى: يَجْعَلُهُ مُخَيَّرًا (فِي أَى الْحُورِ شَاءَ) أَى: فِي اخْتِيارِ أَيِّهِنَّ شَاءَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ

(1) كشف المشكل من حديث الصحيحين 336/3 ح 1764

(2) رواه أبو داود في كتاب الأدب - باب من كظم غيظا 248/4 والترمذى في كتاب البر والصلة باب في كظم الغيظ 372/4 ح 2021 وقال: حديث حسن غريب وشرح صحيح البخارى لابن بطال 296/9

الْمَنِيْعَةَ وَإِصَالِهِ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ. وَفِي النِّهَايَةِ: كَظْمُ الْغَيْظِ تَجَرُّعُهُ وَاحْتِمَالُ سَبَبِهِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

قَالَ الطَّبْطَبِيُّ رحمته الله: وَإِنَّمَا حُمِدَ الْكَظْمُ لِأَنَّهُ قَهَرَ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} ⁽²⁾، وَمَنْ هَمَّى النَّفْسَ عَنْ هَوَاهُ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، وَالْحُورَ الْعَيْنَ جَزَاهُ. قَالَ الْقَارِي: وَهَذَا الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالْجَزَاءُ الْجَزِيلُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَى مُجَرَّدِ كَظْمِ الْغَيْظِ، فَكَيْفَ إِذَا انْضَمَّ الْعَفْوُ إِلَيْهِ أَوْ زَادَ بِالْإِحْسَانِ عَلَيْهِ⁽³⁾.

قَالَ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ رحمته الله: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ} أَيْ: وَالْمُمْسِكِينَ الْغَيْظَ عَنِ الْإِمْضَاءِ يُقَالُ: كَظَمَ الْقُرْبَةَ إِذَا مَلَأَهَا وَشَدَّ فَاهَا، وَمِنْهُ كَظَمَ الْغَيْظَ وَهُوَ أَنْ يُمَسِكَ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنْهُ بِالصَّبْرِ وَلَا يُظْهِرَ لَهُ أَثَرًا، وَالْغَيْظُ تَوْقِدُ حَرَارَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْغَضَبِ وَعَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْقَاذِهِ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا". {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} أَيْ إِذَا جَنَى عَلَيْهِمْ أَحَدٌ لَمْ يُوَاخِذْهُ. وَرَوَى يَنَادَى مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الَّذِينَ كَانَ أَجُورُهُمْ عَلَى اللَّهِ؟ فَلَا يَقُومُ إِلَّا مِنْ عَفَا. وَعَنْ ابْنِ عَيْنَةَ أَنَّهُ رَوَاهُ لِلرَّشِيدِ وَقَدْ غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ فَخَلَاهُ. {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} اللَّامُ لِلْجِنْسِ فَيَتَنَاوَلُ كُلُّ مُحْسِنٍ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورُونَ أَوْ لِلْعَهْدِ فَيَكُونُ إِشَارَةً إِلَى هَؤُلَاءِ عَنِ الثَّوْرِيِّ: الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى الْمُسِيءِ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمُحْسِنِ مُتَاجِرَةٌ⁽⁴⁾.

(1) النّهاية في غريب الحديث 178/4

(2) (سورة آل عمران من الآية 134

(3) مرقاة المفاتيح 3181/8 ح 5088

(4) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) 293/1

الشرح والتفصيل:

قوله ﷺ (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ) والصُّرْعَةُ: بِضَمٍّ فَفَتَحَ الذى يَصْرَعُ النَّاسَ وَيَكْثُرُ منه ذلك، أى: لَيْسَ القَوَى مَنْ يَقْدِرُ عَلَى صَرَعِ الْأَبْطَالِ مِنَ الرِّجَالِ كَمَا يُقَالُ لِلْكَثِيرِ النُّومِ نُومَةٌ، وَلِلْكَثِيرِ الْحَفْظِ حَفْظَةٌ، فَأَرَادَ ﷺ أَنَّ الذى يَقْوَى عَلَى مَلِكِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْغَضَبِ وَيَرْدُّهَا عَنْهُ هُوَ الْقَوَى الشَّدِيدُ وَالنَّهَائِيَّةُ فِي الشَّدَةِ؛ لَغَلَبَتِهِ هَوَاهُ الذى زَيْنَهُ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ مَجَاهِدَةَ النَّفْسِ أَشَدَّ مِنْ مَجَاهِدَةِ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ لِلَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشَّدَةِ مَا لَيْسَ لِلَّذِى يَغْلِبُ النَّاسَ وَيَصْرَعُهُمْ. وَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِىُّ حِينَ سُئِلَ أَىُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: جِهَادُكَ نَفْسَكَ وَهَوَاكَ⁽¹⁾.

وقال الإمام الباجي رحمه الله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ» لَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ ﷺ نَفَى الشَّدَةِ عَنِ الصُّرْعَةِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ بِالصُّرُورَةِ شِدَّتَهُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ﷺ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالنَّهَائِيَّةِ فِي الشَّدَةِ وَأَشَدُّ مِنْهُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ.

الثَّانِي: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّهَا شِدَّةٌ لَيْسَ لَهَا كَثِيرٌ مَنَفَعَةٍ، وَإِنَّمَا الشَّدَةُ الَّتِى يُنْتَفَعُ بِهَا الشَّدَةُ الَّتِى يَمْلِكُ بِهَا نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَلِهَذَا يُقَالُ لَا كَرِيمَ إِلَّا يُوسُفُ وَلَمْ يُرِدْ بِهِ نَفَى الْكَرَمِ عَنْ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ إِثْبَاتَ مَزِيَّةٍ لَهُ فِي الْكَرَمِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا شُجَاعَ إِلَّا عَلَى، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَتَدْبَرْ هَذَا إِلَى مَلِكِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ؛ عَنْ إِمْضَاءِ مَا يَقْتَضِيهِ الْغَضَبُ مِنْ أَدَى مَنْ يَمْلِكُ أَذَاهُ، أَوْ مُنَازَعَةٍ مِنْ يُنَازِعُهُ⁽²⁾.

(1) شرح صحيح البخارى لابن بطال 296/9

(2) المنتقى شرح الموطأ للباجي 7/ 214 و 215

وأدخل الإمام البخاري رحمه الله هذا الحديث في باب قال في ترجمته (بابُ الحذر من الغضب) لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (1). وقوله: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (2).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِالآيَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ فِي الْبَابِ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلَّا صَرَعَهُ. قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ؟ رَجُلٌ كَلَّمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَعَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانُ صَاحِبِهِ. رَوَاهُ الْبَزَّازُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ. وَلَيْسَ فِي الْآيَتَيْنِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّحذِيرِ مِنَ الْغَضَبِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَمَّ مَنْ يَكْظُمُ غَيْظَهُ إِلَى مَنْ يَحْتَنِبُ الْفَوَاحِشَ كَانَ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَقْصُودِ (3).

قوله ﷺ (إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) أى القوى حقيقةً هو الذى يملك زمام نفسه ويمنع نفسه من مقتضيات الغضب من إيذاءٍ لنفسه ولغيره. قال القارى: فَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعْنَى هَذَا الْإِسْمِ مِنَ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْبَاطِنَةِ، وَمِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَى الدِّينِ. وَفِي النَّهَايَةِ: الصَّرْعَةُ بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُبَالِغُ فِي الصَّرْعِ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، فَنَقَلَهُ إِلَى الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَلَكَهَا كَانَ قَدْ فَهَرَ أَقْوَى أَعْدَائِهِ وَشَرَّ حُصُومِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ، وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْ وَضْعِهَا اللَّغْوَى بِضَرْبٍ مِنَ التَّوَسُّعِ وَالْمَجَازِ، وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْغَضَبَانُ بِحَالَةٍ شَدِيدَةٍ مِنَ الْغَيْظِ،

(1) سورة الشورى الآية 37

(2) (سورة آل عمران الآية 134

(3) فتح البارى لابن حجر 10 / 519

وَقَدْ ثَارَتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ الْغَضَبِ، فَقَهَرَهَا بِحِلْمِهِ وَصَرَعَهَا بِثَبَاتِهِ كَمَا الصُّرْعَةُ الَّذِي يَصْرَعُ الرِّجَالَ وَلَا يَصْرَعُونَهُ⁽¹⁾.

«إِنَّمَا الشَّدِيدُ» الْمُرَادُ بِالشَّدِيدِ هُنَا: شِدَّةُ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَهِيَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَإِمْسَاكُهَا عِنْدَ الشَّرِّ، وَمُنَازَعَتُهَا لِلْجَوَارِحِ لِلانْتِقَامِ مِمَّنْ أَغْضَبَهَا، فَإِنَّ النَّفْسَ فِي حُكْمِ الْأَعْدَاءِ الْكَثِيرِينَ، وَغَلَبَتْهَا عَمَّا تَشْتَهِيهِ فِي حُكْمٍ مَنْ هُوَ شَدِيدُ الْقُوَّةِ فِي غَلَبَةِ الْجَمَاعَةِ الْكَثِيرِينَ فِيمَا يُرِيدُونَهُ مِنْهُ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ أَشَدُّ مِنْ مُجَاهَدَةِ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّهُ ﷺ جَعَلَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ أَعْظَمَ النَّاسِ قُوَّةً⁽²⁾.

إِنَّ قُوَّةَ الْإِنْسَانِ لَا تَقَاسُ بِحِجْمِ جَسَدِهِ وَقُوَّةَ عَضَلَاتِهِ، وَإِنَّمَا تَقَاسُ قُوَّتُهُ بِمَقْدَارِ قُوَّتِهِ عَلَى التَّحَكُّمِ فِي نَفْسِهِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَى انْفِعَالَاتِهِ، مُنَاقِضًا بِذَلِكَ فِكْرَ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ عُمَرُو بْنُ كَلْثُومٍ عِنْدَمَا قَالَ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا .:. فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وكأنه يريد بذلك أن يسن قانوناً عنوانه "إنَّ علاجَ الجهلِ إنما يكونُ بشدةِ الجهلِ" وهذا ما تعارف عليه العرب في جاهليتهم، فجاء الإسلام وخفف من هذا الطغيان، وأقام أركان المجتمع على دعائم الفضل والإحسان، فإن تعذر الوصول إلى ذلك فلا مناص من العدل الذي يجعل الإنسان لا يعاقب غيره إلا بمثل ما عوقب به، كقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}⁽³⁾. وكقوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}⁽⁴⁾.

(1) مرقاة المفاتيح 3188/8 والنهاية في غريب الحديث 23/3 و24

(2) سبل السلام للصنعاني 656/2 ح 1393

(3) سورة الشورى الآية 40

(4) (سورة النحل الآية 127

وفوق ذلك كله العفو والصفح المطلق، كقوله تعالى: {وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (1).

الآثار السلبية للغضب على صحة الإنسان:

وَحَقِيقَةُ الْغَضَبِ حَرَكَةُ النَّفْسِ إِلَى خَارِجِ الْجَسَدِ لِإِرَادَةِ الْإِنْتِقَامِ، والغضب من أكثر المشاعر النفسية التي تؤثر على الإنسان تأثيراً سلبياً، وبسبب تراكم المشكلات ومنغصات الحياة يزيد قلق الإنسان وتوتره مع عدم القدرة على الاستمتاع بالحياة بشكل طبيعي؛ ما يجعل الإنسان يلجأ إلى الغضب في بعض ردود أفعاله على المواقف المختلفة، ويكون الغضب بتعبيرات حركية أو لفظية ناتجة عن عدم السيطرة على رد الفعل، وهو يؤثر على صحة الإنسان بشكل كبير؛ مما يعرضه إلى الإصابة بالأمراض المختلفة ومن أهمها الأمراض القلبية وأمراض ضغط الدم:

أولاً: تأثير الغضب على ضغط الدم: عادة في معظم حالات ارتفاع ضغط الدم يكون السبب الرئيسي لها هو التعرض إلى الغضب الشديد، ما يجعل القلب يقوم بضخ كميات زائدة من الدم، ويؤثر على الأوعية الدموية، ويزيد من فرص الإصابة بالجلطات.

ثانياً: تأثير الغضب على القلب: يُعد القلب هو أكثر أعضاء الجسم تعرضاً للمشكلات الصحية نتيجة الغضب الزائد؛ حيث تتسارع ضربات القلب بشكل كبير؛ ما قد يؤدي إلى الإصابة بالنوبات القلبية والإضرار بعضلة القلب ويضعفها، وعند الغضب قد يتعرض الإنسان إلى الإصابة بالجلطات القلبية المفاجئة.

ثالثاً: تأثير الغضب على الجهاز الهضمي: يتسبب الغضب في الإصابة بآلام والتهابات المعدة والقولون، بالإضافة إلى أنه يؤثر على شهية الإنسان ويجعله يفقد الشهية.

(1) (سورة الشورى من الآية 37

رابعاً: اضطرابات النوم: نتيجة الغضب تحدث اضطرابات في هرمونات الجسم قد تؤدي إلى عدم النوم بشكل جيد؛ ما يؤثر على صحة الإنسان وقدرته على التركيز وممارسة مهامه الاعتيادية أثناء نهار اليوم التالي.

خامساً: الإصابة بالصداع: يؤدي الغضب إلى انقباض عضلات الرأس والرقبة؛ ما يصيب الإنسان بالصداع الشديد والحاد، وقد يكون الإنسان أكثر عرضة للإصابة بالسكتة الدماغية الناتجة عن تمزق الأوعية الدموية نتيجة الغضب الشديد⁽¹⁾.

قال الإمام الصنعاني: وَالْغَضَبُ غَرِيزَةٌ فِي الْإِنْسَانِ فَمَهْمَا قُصِدَ أَوْ نُوزِعَ فِي غَرَضٍ مَا اشْتَعَلَتْ نَارُ الْغَضَبِ وَثَارَتْ حَتَّى يَحْمَرَ الْوَجْهُ، وَالْعَيْنَانِ مِنَ الدَّمِ؛ لِأَنَّ الْبَشْرَةَ تَحْكِي لَوْنًا مَا وَرَاءَهَا، وَهَذَا إِذَا غَضِبَ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَاسْتَشْعَرَ الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ فَوْقَهُ تَوَلَّدَ مِنْهُ انْقِبَاضُ الدَّمِ مِنْ ظَاهِرِ الْجِلْدِ إِلَى جَوْفِ الْقَلْبِ فَيَصْفَرُّ اللَّوْنُ خَوْفًا، وَإِنْ كَانَ عَلَى النَّظِيرِ تَرَدَّدَ الدَّمُ بَيْنَ انْقِبَاضٍ وَانْبِسَاطٍ فَيَحْمَرُّ وَيَصْفَرُّ. وَالْغَضَبُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ كَتَغْيِيرِ اللَّوْنِ وَالرَّعْدَةِ فِي الْأَطْرَافِ، وَخُرُوجِ الْأَفْعَالِ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ وَاسْتِحَالَةِ الْخَلْقَةِ حَتَّى لَوْ رَأَى الْعُضْبَانُ نَفْسَهُ فِي حَالَةِ غَضَبِهِ لَسَكَنَ غَضَبُهُ حَيَاءً مِنْ قُبْحِ صُورَتِهِ وَاسْتِحَالَةِ خَلْقَتِهِ. هَذَا فِي الظَّاهِرِ، وَأَمَّا فِي الْبَاطِنِ؛ فَقُبْحُهُ أَشَدُّ مِنَ الظَّاهِرِ، لِأَنَّهُ يُؤَلِّدُ حَقْدًا فِي الْقَلْبِ، وَإِضْمَارَ السُّوءِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، بَلْ قُبْحُ بَاطِنِهِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى تَغْيِيرِ ظَاهِرِهِ، فَإِنَّ تَغْيِيرَ الظَّاهِرِ ثَمَرَةُ تَغْيِيرِ الْبَاطِنِ، فَيُظْهِرُ عَلَى اللِّسَانِ الْفُحْشَ وَالشَّتْمَ وَيُظْهِرُ فِي الْأَفْعَالِ بِالضَّرْبِ، وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ⁽²⁾.

(1) <https://al-ain.com/article/effect-anger-health>

(2) سبل السلام 657/2

بَيَانُ الْأَسْبَابِ الْمُهِيجَةِ لِلْغَضَبِ:

قال الإمام الغزالي رحمه الله: قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ علاج كل علة حسم مَادَّتَهَا، وَإِزَالَةَ أَسْبَابِهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْغَضَبِ: وَالْأَسْبَابُ الْمُهِيجَةُ لِلْغَضَبِ هِيَ الزَّهْوُ، وَالْعُجْبُ، وَالْمَزَاحُ، وَالْهَزْلُ، وَالْهَزْءُ، وَالتَّعْيِيرُ، وَالْمَمَارَاةُ، وَالْمُضَادَّةُ، وَالْغَدْرُ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى فَضُولِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَهِيَ بِاجْتِمَاعِهَا أَخْلَاقٌ رَدِيئَةٌ مَذْمُومَةٌ شَرْعًا، وَلَا خَلَاصَ مِنَ الْغَضَبِ مَعَ بَقَاءِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِزَالَةِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ بِاصْدَادِهَا.

قال: ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال؛ تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية، وعزة نفس، وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحموده غباوة وجهلاً، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر، فيهيح الغضب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل، بل هو مرض قلب، ونقصان عقل، وهو لضعف النفس ونقصانها، وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وذو الخلق السيء والردائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل⁽¹⁾.

علاج سرعة الغضب:

وضح النبي ﷺ أَنَّ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تُذهب الغضب، ذلك أن الشيطان هو الذي يُرِينِ لِلْإِنْسَانِ الْغَضَبَ، فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

(1) إحياء علوم الدين 172/3

الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ. فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ⁽¹⁾.

قال الإمام النووي رحمه الله: وفي الحديث أَنَّ الْغَضَبَ فِي غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَزْعِ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْغَضَبِ أَنْ يَسْتَعِيدَ فَيَقُولَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِرَوَالِ الْغَضَبِ، وَأَمَّا قَوْلُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي اشْتَدَّ غَضَبُهُ "هَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ" فَهُوَ كَلَامٌ مَنْ لَمْ يُفْقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَتَهَدَّبْ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ الْمَكْرَمَةِ، وَتَوَهَّمَ أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ مُحْتَصَةً بِالْمَجْنُونِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْغَضَبَ مِنْ نَزْعَاتِ الشَّيْطَانِ؛ وَلِهَذَا يُخْرِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنِ اعْتِدَالِ حَالِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ، وَيَفْعَلُ الْمَذْمُومَ، وَيَنْوِي الْحَقْدَ وَالْبُغْضَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْغَضَبِ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي قَالَ لَهُ أَوْصِنِي: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مَرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَلَمْ يَزِدْهُ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى "لَا تَغْضَبْ" مَعَ تَكَرُّرِهِ الطَّلَبِ.

وهَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ فِي عِظَمِ مَفْسَدَةِ الْغَضَبِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ "هَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ" كَانَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽²⁾. وقال المباركفوري رحمه الله: قلتُ: الظاهر أَنَّ قوله هذا أيضًا نشأ من شدة غضبه، وغلبة غيظه حتى أخرجه عن الاعتدال بحيث قال للناصح ما قال. قال الشوكاني: في الحديث دليل على أَنَّ الغضب متسبب عن عمل الشيطان، ولهذا كانت الاستعاذة مذهباً للغضب، فمن غضب في غير حق ولا موعظة، صدق فليعلم أَنَّ الشيطان هو الذي يتلاعب به وأنه مسه طائف منه. وفي هذا ما يزجر عن الغضب لكل من يود أن لا يكون في يد الشيطان يصرفه كيف يشاء⁽³⁾.

(1) أخرجه البخارى في الصحيح - كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب 28/8 ح 6115 وابن حبان

في الصحيح كتاب الحظر والاباحة باب الأمر بالاستعاذة 505/12 ح 5692

(2) شرح النووي على مسلم 163/16

(3) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 165/8

وأمر النبي ﷺ الذي يغضب بأن يُغير من هيئته؛ لأن ذلك أحرى أن يمنعه من سرعة الغضب، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ»⁽¹⁾.

قال الخطابي رحمه الله: القائم متهيئ للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما، فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالقعود والاضطجاع لئلا تبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها فيما بعد والله أعلم⁽²⁾.

قال ابن العربي: والغضب يُهيج الأعضاء اللسان أولاً ودواؤه السكوت. والجوارح بالإستطالة ثانياً ودواؤه الاضطجاع. وهذا إذا لم يكن الغضب لله وإلا فهو من الدين وقوة النفس في الحق: فبالغضب قوتل الكفار وأقيمت الحدود وذهبت الرحمة عن أعداء الله من القلوب وذلك يوجب أن يكون القلب عاقداً والبدن عاملاً بمقتضى الشرع⁽³⁾.

زَوَالُ الْغَضَبِ بِرِيَاضَةِ النَّفْسِ وَغَيْرِهَا:

قال الإمام الغزالي: اعْلَمْ أَنَّهُ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ يُحِبُّ شَيْئًا وَيَكْرَهُ شَيْئًا فَلَا يَخْلُو مِنَ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضَى الطَّبْعِ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تُفِيدُ الرِّيَاضَةُ فِي مَحْوِ قُوَّتِهِ، وَذَلِكَ بِالْمُجَاهَدَةِ، وَتَكْلُفِ الْحِلْمِ، وَالِاحْتِمَالِ مُدَّةً حَتَّى يَصِيرَ الْحِلْمُ وَالِاحْتِمَالُ خُلُقًا رَاسِخًا، فَالرِّيَاضَةُ لَيْسَتْ لِيَنْعَدِمَ غَيْظُ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ، وَلَكِنْ لِيَسْتَعْمِلَهُ عَلَى حَدِّ يَسْتَحِبُّهُ الشَّرْعُ وَيَسْتَحْسِنُهُ الْعَقْلُ، وَذَلِكَ بِكُسْرِ سَوَرَتِهِ وَتَضْعِيفِهِ حَتَّى لَا يَشْتَدَّ هَيْجَانُ الْغَيْظِ فِي الْبَاطِنِ، وَيَنْتَهِيَ ضَعْفُهُ إِلَى أَنْ لَا يَظْهَرَ أَثَرُهُ فِي الْوَجْهِ.

(1) رواه أبو داود في كتاب الأدب باب ما يقال عند الغضب 249/4 ورواه أيضا مرسلًا عن بكر عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجحه فقال: وهذا أصح الحديثين. وأخرجه أحمد في المسند حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ 278/35 ح 21348 وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 70/8 و71 ح 12995

(2) معالم السنن 108/4

(3) فيض القدير 407/1 و408

وَقَدْ يُتَصَوَّرُ فَقَدْ الْغَيْظُ بِغَلَبَةِ نَظَرِ التَّوْحِيدِ، أَوْ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْهُ أَنْ لَا يَغْتَاظَ، فَتُطْفِئُ شِدَّةَ حُبِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى غَيْظُهُ، أَوْ بِأَنْ يَشْتَغِلَ الْقَلْبُ بِضُرُورِي أَهَمِّ مِنَ الْغَضَبِ، فَلَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مَتَسَعٌ لِلْغَضَبِ لِاشْتِغَالِهِ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ اسْتِغْرَاقَ الْقَلْبِ بِبَعْضِ الْمُهِمَّاتِ يَمْنَعُ الْإِحْسَاسَ بِمَا عَدَاهُ⁽¹⁾.

الغضب المذموم والغضب الحمود:

ينقسم الغَضَبُ إلى قسمين: غضب مذموم، وغضب ممدوح
الغضب المذموم: وهو الغضب لغير الله، ولغير الحق، فقد يكون الدافع له العصبية والحمية الجاهلية، أو الانتصار للنفس وعدم قبول الحق، وهو نزعة من نزعات الشيطان يجلب لصاحبه عواقب السوء، ويعمى صاحبه عن الحق، فتأخذه العزة بالإثم، ويُعرض عن النصيحة إذا نُصِحَ، وَرُبَّمَا زَادَ هَيْجَانًا، وَإِذَا رُوجِعَ فَإِنَّهُ يَزِدُّاد سَخَطًا وَجَاجًا.

وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ ضَرَرٌ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ، وَتَجِدُهُ مُتَغَيِّرًا لَوْنِهِ، مُرْتَعِشَةً أَعْضَاؤُهُ، زَائِعًا بَصَرَهُ، وَكَالْأَعْمَى يَسْبُ الْجُمَادِ وَالْحَيَّوَانَ، وَيَبْطِشُ بِكُلِّ مَا يَصَادِفُهُ، حَتَّى إِنَّهُ يَتَلَفُ الْأَثَاثَ، وَرُبَّمَا لَا يُشْفَى غَلُّهُ، وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ طَلَاقٌ، وَلَعْنٌ وَسَبٌّ، وَشَتَمٌ، فَهَذَا غَضَبٌ مَذْمُومٌ قَبِيحٌ مُرْذُولٌ يَنْتَصِرُ فِيهِ إِبْلِيسُ عَلَى هَذَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ كَمَا قِيلَ:

وَمَا غَضَبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا حِمَاقَةٌ .. إِذَا كَانَ فِيمَا لَيْسَ لِلَّهِ يَغْضَبُ

ومثل هَذَا الْغَضَبُ يَهْدِمُ الْجِسْمَ، وَيَتَلَفُ الصَّحَّةَ، وَيَحْرِمُ صَاحِبَهُ الرَّاحَةَ وَالْهَنَاءَ وَيَجْعَلُ نَظَرَهُ إِلَى الْحَيَاةِ مَظْلَمَةً سُودَاءَ.

الغضب الحمود: وهو الغضب لله، ولحدوده، ولانتهاك محارمه، والغضب على الكفار والمنافقين وعلى أعداء الله ﷻ.

(1) إحياء علوم الدين 170/3

كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ }⁽¹⁾. وكقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }⁽²⁾.

وهو الغضب الذي كان يغضب لأجله رسول الله ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتِمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا انتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتِي إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ»⁽³⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غُرُورِ الْفَتْحِ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟».

فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعِشَى، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ، فَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، قَالَ يُونُسُ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: قَالَ غُرُورُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ، وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽⁴⁾.

(1) سورة التوبة الآية 73

(2) سورة التوبة الآية 123

(3) رواه البخارى فى الحدود باب إقامة الحدود والإنقام لحُرُمَاتِ اللَّهِ 160/8 وأحمد فى مسنده 4515/41

(4) رواه البخارى فى كتاب الحدود باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع 160/8 ح 6788 ومسلم

واللفظ له فى كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف 1315/3 ح 9

فضل الحلم وكظم الغيظ:

إنَّ الإسلام في علاجه لمشكلة الغضب وثورته في الذات الإنسانية يدرك أن الخلق تتفاوت درجاتهم في الثبات أمام المستفزات والمثيرات، فمنهم ظالم لنفسه تستخفه التوافه حتى تخرجه عن نهج الحق وجادة الصواب، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات لا تستفزه الشدائد مع مرارة وقعها فيحتفظ عند ثورة الغضب برجاحة عقله وكريم خلقه. موقفنا أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين ثقة المرء بنفسه، وبين الحلم على الجاهلين، والتجاوز عن هفواتهم، فعظماء الرجال حقاً هم قوم ركبوا متن الكمال فحلّقوا به في سماء الفضيلة للحلم في نفوسهم مستقرّاً ومقاماً فاتسعت صدورهم وعذروا الناس من أنفسهم، والتمسوا المبررات لأغلاطهم فإذا ما تعدى عليهم سفهاء الناس نظروا إليهم من قمة الخلق الكريم نظرة العفو الحليم.

والحلم صفة من صفات الله ﷻ، إذ إنه سبحانه يطلع على معصية العصاة، ومع ذلك لا يعجل لهم العقوبة، ولا يسارع بالانتقام منهم مع أنه سبحانه هو القاهر فوق عباده والقادر عليهم، والحلم كذلك صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، يقول سبحانه في حق إبراهيم عليه السلام {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} (1). ويقول سبحانه في حق إسماعيل عليه السلام {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} (2). ويقول في حق سيد الخلق ﷺ {فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (4).

(1) سورة هود الآية 75

(2) سورة الصافات الآية 101

(3) سورة آل عمران الآية 159

(4) سورة الأعراف الآية 199

وَيُخْرِجُ النَّبِيَّ ﷺ بِفَعْلِهِ وَسِيرَتِهِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ إِطَارِهَا النَّظَرِيِّ لِيَتَرَجَّمَ عَنْهَا بِعَمَلِهِ وَسُلُوكِهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءُ تَجْرَانِي غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِي، فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةٍ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ⁽¹⁾. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَاشْتَرَوْا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ» وَقَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «اشْتَرَوْهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»⁽²⁾.

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرْبُهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»⁽³⁾.

قال النووي رحمه الله: في الحديث مَا كَانُوا عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحِلْمِ وَالتَّصَبُّرِ وَالْعَفْوِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَدُعَائِهِمْ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالْفَقْرَانِ وَعُذْرِهِمْ فِي جَنَائِتِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَهَذَا النَّبِيُّ الْمُشَارُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا ﷺ مِثْلُ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ⁽⁴⁾.

(1) رواه البخارى في كتاب اللباس باب البرود والخبرة والشملة 146/7 ح 5809 ومسلم في كتاب الزكاة

باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة 730/2 ح 128

(2) رواه البخارى في كتاب الاستقراض وآداء الديون باب استقراض الإبل 116/3 ح 2390 ومسلم في

كتاب المساقاة باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه 1224/3 ح 118

(3) رواه البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار 75/4 ح 3477 ومسلم في كتاب الجهاد

والسير باب غزوة أحد 1417/3 ح 105

(4) شرح النووي على مسلم 150/12 ح 105

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدٍ، قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا⁽¹⁾.

وهكذا نرى الرسول ﷺ في أسمى صورة للحلم والعفو، فلم يتعجل بالدعاء على المشركين، ولم تأخذه الدهشة أول الأمر لجفوة الأعرابي ونكرانه، فلم يعاجله بعقوبة تقضى عليه، وإنما هذب نفسه بعفوه وحلمه حتى فاض لسان الأعرابي بالثناء عليه {وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}⁽²⁾.

ما يستفاد من الحديث:

1- جعل النبي ﷺ لِلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشِدَّةِ مَا لَيْسَ

لِلَّذِي يَغْلِبُ النَّاسَ وَيَصْرَعُهُمْ.

(1) رواه البخارى في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء 115/4 ح 3231

ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين 1420/3 ح 111

(2) سورة فصلت الآية 34

2- أن أقوى علاج لتسكين الغضب والقضاء عليه الاستعاذة بالله من الشيطان بنية صادقة، وعزيمة قوية، ويقين وإخلاص، لأن الغضب نزعة شيطانية شريرة، والاستعاذة أقوى سلاح لمحاربة الشيطان.

3- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تُذهب الغضب؛ وذلك أن الشيطان هو الذى يزين للإنسان الغضب، وكل ما لا تحمده عاقبته ليرديه ويغويه ويبعده من رضا الله تعالى فلاستعاذة بالله تعالى منه من أقوى السلاح على دفع كيده.

4- قَدْ يَكُونُ الْغَضَبُ وَاجِبًا وَهُوَ الْغَضَبُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُبَالِغَةِ فِيهِمْ بِالْجِهَادِ وَكَذَلِكَ الْغَضَبُ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ وَإِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَجُوزُ.

5- مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَخْبِرَهُ مِنَ الْخُورِ مَا شَاءَ.

6- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَاتُ اللَّهِ لَمْ يَقُمْ لِعُصْبِهِ شَيْءٌ وَلَمْ يَضْرِبْ بِيَدِهِ خَادِمًا وَلَا امْرَأَةً إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

7- أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو. وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما عادوا من بعض الغزوات: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

8- فِي الْحَدِيثِ إِشَادٌ إِلَى أَنَّ مَنْ أَغْضَبَهُ أَمْرٌ وَأَرَادَتْ النَّفْسُ الْمُبَادَرَةَ إِلَى الْإِنْتِقَامِ مِمَّنْ أَغْضَبَهُ أَنْ يُجَاهِدَهَا وَيَمْنَعَهَا عَمَّا طَلَبَتْ.

9- فكمال قوة العبد: أن يمتنع من أن تؤثر فيه قوة الشهوة، وقوة الغضب، بل يصرف هاتين القوتين إلى تناول ما ينفع في الدين والدنيا، وإلى دفع ما يضر فيهما.

10- خير الناس من كانت شهوته وهواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ وغضبه ومدافعته في نصر الحق على الباطل. وشر الناس: من كان صريع شهوته وغضبه.

الحديث الخامس

التَّهْيَ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه:

«مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدْعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»⁽¹⁾.

وَعَنْ هَمَّامٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

«لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»⁽²⁾.

الراوي الأعلى للحديث:

الصحابي الجليل: أبو هريرة رضي الله عنه سبقت ترجمته في الحديث الثاني.

معاني المفردات:

(أَشَارَ) من الإشارة، يقال: أشار الرجلُ يُشيرُ إشارةً إذا أَوْمَأَ بيديه. وتقول: شَوْرْتُ إِلَيْهِ بِيَدِي، وأشرتُ إِلَيْهِ، أَيْ لَوَحْتُ إِلَيْهِ، وَأَحْتُ أَيْضًا.
(بِحَدِيدَةٍ) أَيْ: بِمَا هُوَ آلَةُ الْقَتْلِ، أَيْ بِسِلَاحِ كَسَكِينٍ وَخَنَجَرٍ وَسَيْفٍ وَرَمَحٍ، وَأَحَدُ السَّيْفِ إِحْدَادًا إِذَا شَحَذَهُ وَحَدَّدَهُ.

(يَنْزِعُ فِي يَدِهِ) يَزِمِي فِي يَدِهِ وَيَحْقِيقُ ضَرْبَتَهُ وَرَمِيَّتَهُ، وَالنَّزْعُ أَصْلُهُ الْفَسَادُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: {نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} أَيْ أَفْسَدَ، فَتَهْيَ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالْحَدِيدِ إِلَى

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب بابُ التَّهْيَ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ 2020/4

(2) رواه البخاري في كتاب الفتن بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا» 49/9 ومسلم في

كتاب البر والصلة والآداب بابُ التَّهْيَ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ 2020/4 ح 126

أَخِيهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَّفَقَ الْفَسَادُ فِي ذَلِكَ فَيُصِيبُهُ بِمَا يُؤْذِيهِ فَيَأْتِمُ بِتِلْكَ الْإِشَارَةِ الَّتِي
آلَتْ إِلَى الْأَذَى⁽¹⁾.

(فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ) أَيْ تَدْعُو عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّحْمَةِ.

(فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) كُنَايَةٌ عَنْ وَقُوعِهِ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي تَفْضِي بِهِ إِلَى دُخُولِ
النَّارِ.

المعنى العام للحديث:

جاءت شريعتنا الإسلامية الغراء بكل ما يحفظ النفس المسلمة من التعدي عليها
أو إزهاقها وقتلها بغير حق، كما جعلت ارتكاب ذلك كبيرة من الكبائر تستحق
القصاص، وفوق ذلك كله سدّت جميع الطرق الموصلة إلى ذلك، ومن ذلك الإشارة
إلى المسلم بالسلاح -ولو كان مزاحًا- سدًا للذريعة وحسمًا لمادة الشر التي قد
تفضي إلى القتل.

لقد كان النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْحَيْطَةَ وَالْحَذَرَ مِمَّا فِيهِ خَطَرٌ مُتَوَقَّعٌ عَلَى الدِّينِ
أَوْ عَلَى النَّفْسِ أَوْ عَلَى النَّسْلِ أَوْ عَلَى الْعَقْلِ أَوْ عَلَى الْمَالِ، فَهَذِهِ هِيَ الضَّرُورِيَّاتُ
الْخَمْسَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِفْظُهَا بِالْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ.

وكان ﷺ يُوَدِّعُهُم بِالْآدَابِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِتَوْقِيرَ الْأَخِيهِ
وَالِاسْتِحْيَاءِ مِنْهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَنْكَفُ مِنْهَا أَوْ يَخْشَاهَا عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ
يَرَى فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْإِهَانَةِ أَوْ الْاسْتِخْفَافِ بِعَدَمِ الْمُبَالَاهَةِ بِهِ أَوْ عَدَمِ رِعَايَةِ مَشَاعِرِهِ.
وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ الَّتِي أَدَّبَهُمْ بِهَا مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَهُوَ أَدَبُ يَنْبَغِي أَنْ
يَضَعَهُ الْمُسْلِمُ مَوْضِعَ الْإِعْتِبَارِ، وَيَدْرِكُ أْبْعَادَهُ عَلَى ضَوْءِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيلٍ، فَإِنْ
الْأَمْرُ أَوْ النَّهْيُ إِذَا كَانَ مُصْحُوبًا بِعَلَّتِهِ كَانَ أَدْعَى لِلتَّحَرُّي وَالِامْتِثَالِ.

(1) تفسير غريب ما في الصحيحين 1/ 346

فجاء هذا التوجيه النبوي العظيم يحثنا على ترك ما يُفضى إلى المخطور، وإن لم يكن المخطور محققاً، سواء كان ذلك في جد أو هزل، وقد حذر النبي ﷺ من التهاون في الإشارة بالسلاح إلى مسلم؛ حيث يترتب على ذلك بلاء كبير، فيقول النبي ﷺ: لا يُشير أحدكم على أخيه بالسلاح، و"السلاح": هو كل ما أُعدَّ للحرب، ويشمل النهي كل ما يقوم مقامه مما يؤدي إلى القتل أو الإيذاء؛ وذلك لأنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، و"النزع": هو قلع الشيء من مكانه، والمراد: أنه قد تحرك يده، ويُقلع منها السلاح، فيقتل أخاه، أو يتسبب له في ضرر، فيقع بسبب ذلك في معصية كبيرة تُفضى به إلى أن يعذب في حفرة من حفر النار.

الشرح والتفصيل:

قوله ﷺ (لا يُشير أحدكم) نفى بمعنى النهي، و"يشير" بإثبات الياء في جميع نسخ صحيح مسلم، قال الإمام النووي رحمه الله: هكذا هو في جميع النسخ لا يُشير بالياء بعد الشين وهو صحيح وهو نفى بلفظ الخبر كقوله تعالى: {لا تضارَّ والدة بولدها} (1). وقد قدمنا مرات أن هذا أبلغ من لفظ النهي (2). وجاء في رواية البيهقي في الشعب (يُشير) بحذف الياء، قال الحافظ ابن حجر: ووقع لبعضهم لا يُشير بغير ياء وهو بلفظ النهي وكلاهما جائز (3). ووقع في رواية الإمام أحمد في المسند: (لا يمشين أحدكم إلى أخيه بالسلاح) والمراد هيبه عن المشي إلى جهته مُشيراً له بالسلاح (4).

(1) سورة البقرة الآية 233

(2) شرح النووي على مسلم 170/16

(3) شعب الإيمان للبيهقي تحريم النفوس والجنائيات عليها 249/7 ح 4949 وفتح الباري 24/13

(4) مسند أحمد - مسند أبي هريرة 527/13 ح 8212 وطرح التثريب في شرح التثريب 184/7

(إِلَى أَخِيهِ) أَى فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَن تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ وَلِقَوْلِهِ ﷺ «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا»⁽¹⁾، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْعَمُومُ لِقَوْلِهِ ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»⁽²⁾. فَالْمُرَادُ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، وَيَلْتَحِقُ بِهِ الدِّمَى أَيْضًا لِتَحْرِيمِ أَذَاهُ، وَخَرَجَ الْحَدِيثُ مَخْرَجَ الْغَالِبِ⁽³⁾.

(بِالسِّلَاحِ) بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَهُوَ مَا أُعِدَّ لِلْحَرْبِ مِنْ آلَةِ الْحَدِيدِ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: السِّلَاحُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِآلَةِ الْحَرْبِ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ مَا كَانَ مِنَ الْحَدِيدِ، يُؤَنَّثُ وَيَذَكَّرُ، وَالتَّذْكِيرُ أَعْلَى لِأَنَّهُ يُجْمَعُ عَلَى أَسْلِحَةٍ، وَهُوَ جَمْعُ الْمَذَكَّرِ مِثْلُ حِمَارٍ وَأَحْمَرَةٍ وَرِدَائٍ وَأَرْدِيَةٍ، وَيَجُوزُ تَأْنِيثُهُ، وَرَبَّمَا خُصَّ بِهِ السَّيْفُ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَالسَّيْفُ وَحْدَهُ يُسَمَّى سِلَاحًا، وَالسَّيْفُ وَالْقَوْسُ بِلَا وَتَرٍ وَالْعَصَا تَسْمَى سِلَاحًا⁽⁴⁾.

والمُرَادُ: لَا يَشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ بِأَن يَرْفَعَهُ عَلَيْهِ يَخِيفُهُ بِهِ وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ؛ فَإِنْ مَجْرَدُ رَفْعِهِ عَلَيْهِ يَعِدُ نَوْعًا مِنَ الْحِمَاقَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَنْتَزِعَهُ عَنْهُ الْمُسْلِمُ الْعَاقِلُ لَمَّا يُوْدَى إِلَيْهِ مِنْ نَتَائِجٍ غَيْرِ مَحْمُودَةٍ؛ فَرَبَّمَا يَصِيبُ أَخَاهُ بِهَذَا السِّلَاحِ رَغْمَ أَنْفِهِ وَرَبَّمَا يَظُنُّ صَاحِبَهُ أَنَّهُ يَرِيدُ الْفِتْكَ بِهِ فَيَعَاجِلُهُ بِضَرْبَةٍ قَدْ تُوْدَى بِحَيَاتِهِ، وَرَبَّمَا يُوْدَى رَفْعُ السِّلَاحِ إِلَى إِثَارَةِ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي يَمُرُّ بِسِلَاحٍ أَوْ سَهْمٍ أَوْ سَيْفٍ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ السُّوقِ أَوْ مَكَانٍ جَامِعٍ لِلنَّاسِ؛ أَنْ يَمْسَكَ نَصَالَهَا حَتَّى لَا يُوْدَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ نِصَالَهَا» قَالَ: نَعَمْ.

(1) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ - بَابُ مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمَزَاحِ 4 / 103 ح 5004

(2) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَشُرَائِعِهِ بَابُ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ 8/104 ح 4995

(3) طَرَحَ الثَّرِيبُ فِي شَرْحِ التَّقْرِيبِ 7/184

(4) لِسَانُ الْعَرَبِ 2/486

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَجْلِسٍ أَوْ سُوقٍ، وَبِيَدِهِ نَبْلٌ، فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا، ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا»⁽¹⁾.
قال ابن بطال: وأمره للذي مر بالسهم في المسجد أن يمسك نصالها، هو من باب الأدب وقطع الذرائع ألا يشير أحد بالسلاح خوف ما يتول منها ويخشى من نزع الشيطان⁽²⁾.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولًا»⁽³⁾.
فَاللَّاتِقُ أَنْ يَكُونَ تَعَاطِيهِ بَيْنَ الْقَوْمِ إِذَا أُريدَ النَّظَرُ إِلَيْهِ حَالُ كَوْنِهِ فِي الْعَمْدِ لَا مَسْلُولًا، فَيَكْرَهُ تَنْزِيهَا لِأَنَّهُ قَدْ يُخْطِئُ فِي تَنَاوُلِهِ فَيَنْجَرِحُ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ أَوْ يَسْقُطُ مِنْهُ عَلَى أَحَدٍ فَيُؤْذِيهِ وَفِي مَعْنَاهُ السَّكِينُ وَخَوْهَا.
(لَعَنَتُهُ الْمَلَائِكَةُ) أَيْ دَعَتْ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرَّحْمَةِ. قال المناوي: أَيْ تدعو عليه بالطرْد والبعد عن الجنة أول الأمر وعن الرحمة الكاملة السابقة زاد في رواية "حتى يدعه" أَيْ لَأَنَّهُ تَرْوِيعٌ لِلْمُسْلِمِ وَتَخْوِيفُهُ وَهُوَ حَرَامٌ⁽⁴⁾.
(وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ) أَيْ الْمُشِيرُ (أَخَاهُ) أَيْ أَخَا الْمُشَارِ إِلَيْهِ.
قال النووي رحمه الله: وَقَوْلُهُ ﷺ "وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ" مُبَالَغَةٌ فِي إِبْصَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ، سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا

(1) رواه البخارى فى كتاب الفتن باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا» 49/9 ج 7070 من رواية جابر رضي الله عنه ومسلم فى كتاب البر والصلة باب أَمْرٍ مَنْ مَرَّ بِسِلَاحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا 2019/4 ح 123 من رواية أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(2) شرح صحيح البخارى لابن بطال 10/ 17

(3) رواه أبو داود فى كتاب الجهاد باب فى النَّهْيِ أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولًا 31/3

(4) فيض القدير 63/6

وَلَعِبًا أَمْ لَا، لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى⁽¹⁾.

وقال القارى: وَالْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ هَازِلًا وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ ضَرْبَهُ، كَتَى بِهِ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْأَخَ الشَّقِيقَ لَا يَقْصِدُ قَتْلَ أَخِيهِ غَالِبًا. قَالَ الطَّبَّي: قَوْلُهُ: وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ تَتَمِيمٌ لِمَعْنَى الْمُلَاعَبَةِ وَعَدَمِ الْقَصْدِ فِي الْإِشَارَةِ، فَبَدَأَ بِمُطْلَقِ الْأُخُوَّةِ ثُمَّ قَيَّدَهُ بِالْأُخُوَّةِ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ لِيُؤْذَنَ بِأَنَّ اللَّعِبَ الْمَحْضَ الْمَعْرَى عَنْ شَائِبَةِ الْقَصْدِ، إِذَا كَانَ حُكْمُهُ كَذًا، فَمَا ظَنُّكَ بغيره؟⁽²⁾. وعلى هذا فَهُوَ تَعْمِيمٌ لِلنَّهْيِ وَمِبَالِغَةٌ فِي التَّحْذِيرِ.

وقد علل النبي ﷺ هذا النهي بقوله: "فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ". ومعنى "يَنْزِعُ فِي يَدِهِ" يوقع فيها الشر ويدفعها إلى الضرب من غير شعور منه فيندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم، ويعتذر لأخيه ولأهله حيث لا يفيد الاعتذار، ويطالب بالقصاص، والقصاص حق يجب الوفاء به، وهو نوع من العقاب الدنيوى، أما في الآخرة فالعقاب أشد والعذاب أكبر.

(لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ) بِكَسْرِ الزَّايِ وَبِالْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ.

قال النووى: صَبَطْنَاهُ بِالْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ، وَكَذَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْ جَمِيعِ رَوَايَاتِ مُسْلِمٍ، وَكَذَا هُوَ فِي نُسَخِ بِلَادِنَا، وَمَعْنَاهُ يَرْمِي فِي يَدِهِ وَيَحْقُقُ ضَرْبَتَهُ وَرَمَيْتَهُ. وَرُوى فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ بِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ بِمَعْنَى الْإِغْرَاءِ، أَيْ يَحْمِلُ عَلَى تَحْقِيقِ الضَّرْبِ بِهِ وَيُزَيِّنُ ذَلِكَ⁽³⁾. وَرُوى فِيهِ أَيْضًا "يَنْزِعُ" بِفَتْحِ الزَّايِ وَبِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ، وَمَعْنَاهُ يَحْمِلُهُ عَلَى تَحْقِيقِ ضَرْبِهِ، وَيُزَيِّنُ ذَلِكَ لَهُ، وَنَزَعَ الشَّيْطَانُ إِغْرَاؤُهُ وَإِغْوَاؤُهُ⁽⁴⁾.

(1) شرح النووى على مسلم 16/ 170

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 2300/6

(3) شرح النووى على مسلم 16/ 170 و 171

(4) طرح الشريب في شرح التقريب 185/7

وأُسند الفعل للشيطان من باب الإسناد إلى السبب؛ لأن الشيطان يحقق تلك الإشارة وهذه الرمية فيصيب بها أخاه المسلم، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يُغْرِيه الشَّيْطَانُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى تَحْقِيقِ الصَّرْبِ حِينَ يُشِيرُ بِهِ عِنْدَ اللَّعِبِ وَاهْزَلِ، وَنَزَعُ الشَّيْطَانِ إِغْرَاؤُهُ. قَالَ تَعَالَى {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ} (1). وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى يَطْعَنُ فِي يَدِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَزَعَهُ بِكَلِمَةٍ أَى: طَعَنَ فِيهِ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: نَزَعَ فِي الْقَوْسِ مَدَّهَا. وَقَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَرْمِي بِهِ كَانِتًا فِي يَدِهِ.

وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ (فَيَقْعُ) فَصِيحَةٌ، أَى يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقْتُلُهُ فَيَسْتَوْجِبُ النَّارَ فَيَقْعُ (فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ). قَالَ الْقَاضِي: يُرِيدُ بِهِ التَّهْمَى عَنِ الْمَلَاعِبَةِ بِالسِّلَاحِ، فَلَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ بَيْنَ الْمُتَلَاعِبِينَ، فَيَصِيرُ اهْزَلُ جَدًّا وَاللَّعَابُ حَرْبًا، فَيَضْرِبُ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ فَيَقْتُلُهُ، فَيَدْخُلُ النَّارَ بِقَتْلِهِ (2).

وقوله: (فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) هو كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار. قال ابن بطال: معناه إن أنفذ الله عليه الوعيد.

والنهي هنا للتحريم لما يؤدي إليه من قتل النفس وإزهاق الروح، فنفوس المسلم معصومة، ودم المسلم له حرمة، ولعن الملائكة له يدل على شدة حرمة؛ ولأن ترويع المسلم حرام بكل حال سواء كان هزلاً ولعباً أم لا. فلا ينبغي على المسلم أن يرفع على أخيه السلاح مهما كان الأمر، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.

النهي عن كل ما يُحزن المسلم ويُخيفه:

إنَّ من حقوق الأخوة بين المسلمين؛ ألا يتعمد أحدٌ منهم ترويع أخيه أو زعزعة أمنه بقول أو فعل، أو تفزيعة بأى سبب من الأسباب، ومن مقتضيات الأخوة أن

(1) سورة الأعراف الآية 200

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 2300/6

يجد الأخ في رحاب إخوانه سكينه النفس وطمأنينة القلب، وألاً يصل إليه من جهة إخوانه ما يروعه أو يخيفه، أو يعكر عليه أمنه وطمأنينته.

والمسلم أخو المسلم، وله من الحقوق ما يجعل أخوة الدين أشد من أخوة النسب، ومن حقوق الأخوة ألا يُصيب المسلم أخاه بالحرز والجزع أو بالخوف والدُّعْر بأى شكل، ولو مازحاً، وقد نهى النبي ﷺ عن كل فعل أو قول يدخل على مسلم خوفاً وفرعاً، عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جدّه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا، وَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرْدِّهَا»⁽¹⁾.

وللحديث قصة في معناه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: "مَا يَضْحِكُكُمْ؟" فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"⁽²⁾.

فأرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الأمر الذى يقطع أواصر المحبة بين الأخ وأخيه، ونهانا أن يأخذ بعضنا أشياء صديقه أو أخيه ويُخفيها عنه وإن كان على سبيل المزاح؛ لأنه يُدخل عليه الخوف، فيظن أن متاعه قد سُرِق، فيحصل له همٌّ وحزن، فهو لا يريد سرّفته، وإنما يريد إدخال الغيظ عليه، فهو لاعبٍ في السرقة، لكنه جادٌ في إدخال الأذى والخوف على أخيه.

(1) رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب من يأخذ الشيء على المزح 301/4 وإسناده حسن. ورواه الترمذى في كتاب الفتن باب باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً 462/4 وقال حسن غريب.

(2) رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب من يأخذ الشيء على المزح 301/4 ح 5004 و رواه أحمد في مسنده، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ 163/38 ح 2304

وبعض الناس يصطحب كلبًا ويخوف المارة من الناس في الطريق وهذا حرام أيضًا
فقد سأل رجلُ الحسن فقال يا أبا سعيدٍ أَرَأَيْتَ مَا ذُكِرَ مِنَ الْكَلْبِ أَنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ
أَجْرِ أَهْلِهِ كُلِّ يَوْمٍ قِبْرًا؟ قَالَ مِمَّ ذَلِكَ يَا أبا سعيد؟ قَالَ: لترويعه المسلم⁽¹⁾ ومما
يندرج في النهي: ما يفعله بعض الناس في عصرنا الحاضر، أن يأتي بالسيارة مسرعًا
نحو شخص -واقف أو جالس أو مضطجع- يلعب معه، ثم يحركها بسرعة إذا قرب
منه حتى لا يدهسه؛ لأنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فلا يتحكم في السيارة،
وحينئذ يقع في الإثم فيقع في حفرة من النار.

وقوله ﷺ (لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ) قال الخطابي: معناه أن يأخذه على وجه
الهزل وسبيل المزح، ثم يحبس عنه ولا يرده، فيصير ذلك جدًّا⁽²⁾.

أمثلة من مُزاح النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يمازح أصحابه، لكنه يمزح ولا يقول إلا حقًا، من غير أن يدخل
على أحد منهم هما ولا خوفًا ولا حزنًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ
إِلَّا حَقًّا»⁽³⁾.

قَالَ النَّوَوِيُّ p: اعْلَمْ أَنَّ الْمُزَاحَ الْمَنْهَى عَنْهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ إِفْرَاطٌ وَيُدَاوِمُ عَلَيْهِ،
فَإِنَّهُ يُورِثُ الصَّحِكَ وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ، وَيَشْغُلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْفِكْرِ فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ،
وَيُؤْوِلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى الْإِيذَاءِ، وَيُورِثُ الْأَحْقَادَ، وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَالْوَقَارَ،
فَأَمَّا مَا سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَهُوَ الْمُبَاحُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُهُ عَلَى

(1) التمهيد 14/ 222 و 223 وشرح النووي على مسلم 170/16

(2) معالم السنن كتاب الأدب باب في المزاح 136/4

(3) أخرجه الترمذی فی السنن کتاب البر والصلة باب ما جاء فی المزاح 357/4 ح 1990 وقال: حديث

حسن. وأحمد في مسنده - مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ 185/14 ح 8481

النَّدْرَةُ لِمَصْلَحَةِ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ، وَهُوَ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، فَاعْلَمْ هَذَا، فَإِنَّهُ مِمَّا يَعْظُمُ الْإِحْتِيَاجُ إِلَيْهِ⁽¹⁾.

ومن أمثلة مزاحه ﷺ: ما مازح به طفلاً صغيراً وهو أخو سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ؛ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» نَغْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا⁽²⁾.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»⁽³⁾. قال الإمام الخطابي p: كان مزح النبي ﷺ مزحًا لا يدخله الكذب والتزديد، وكل إنسان له أذنان، فهو صادق في وصفه إياه بذلك. وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو أن لا يكون قصد بهذا القول المزاح، وإنما معناه الحض والتنبيه على حسن الاستماع والتلقف لما يقوله ويُعَلِّمُهُ إياه، وسماه ذا الأذنين؛ إذ كان الاستماع إنما يكون بحاسة الأذن، وقد خلق الله تعالى له أذنين يسمع بكل واحدة منهما وجعلهما حجة عليه، فلا يعذر معهما إن أغفل الاستماع له ولم يحسن الوعي له. والله اعلم⁽⁴⁾.

وكان النبي ﷺ يمازح أهله فهو خير الناس لأهله وأرحمهم بهم، وقد مازح النبي ﷺ زوجته السيدة عائشة 1 وينزل إلى تفكيرها ويداعبها ولا ينهرها أو يتكبر عليها، وبالرغم من انشغاله بمهمة الرسالة وتأسيس الدولة الإسلامية والفتوحات، واستقبال

(1) الأذكار 326/1 ح 997.

(2) أخرجه البخارى في كتاب الأدب باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل 45/8 ح 6203 ومسلم في

كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته 1692/3 ح 30

(3) رواه أبو داود في السنن كتاب الأدب باب ما جاء في المزاح 301/4 ح 5002

(4) معالم السنن 135/4

الوفود، إلى غير ذلك، لكنه لم ينشغل عن أهله وتفقد حالهم، والتخفيف عنهم، ومخالطتهم بمزاحه وملاطفته.

عَنْ عَائِشَةَ 1 قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ حَيْرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ -الرَّفُّ أَوْ طَاقٌ يَوْضَعُ فِيهِ الشَّيْءُ- فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطُهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟!» قَالَتْ: أَمَّا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحَكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ (1).

قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: قِيلَ عَدَمَ انْكَارِهِ ﷺ عَلَى لَعِبِهَا بِالصُّورَةِ وَإِبْقَائِهَا فِي بَيْتِهَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ التَّحْرِيمِ إِيَّاهَا، أَوْ يُقَالُ: لُعِبَ الصِّغَارِ مَظَنَّةُ الاسْتِخْفَافِ (2) أَيْ أَنَّ لَعِبَ الْأَطْفَالِ لَا تَدْخُلُ فِي هَذَا التَّحْرِيمِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْمَجْسَمَاتِ؛ لِأَنَّهُ يُسْتَخَفُّ بِهَا وَيُلْعَبُ بِهَا وَتَوْضَعُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ التَّعْظِيمِ شَيْءٌ.

قال الإمام البغوي: وَفِي لُعِبِ الصَّبِيَّانِ رُخْصَةٌ (3).

الوعيد الشديد على قتل المسلم بغير حق:

فَإِنَّ مِمَّا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَدْلَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ حُرْمَةُ دَمِ الْمُسْلِمِ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ مَعْصُومَ الدَّمِ وَالْمَالِ، لَا تُرْفَعُ عَنْهُ هَذِهِ الْعَصْمَةُ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ،

(1) رواه أبو داود في كتاب الأدب - باب اللعب بالبنات 283/4 ح 4932 النسائي في (السنن الكبرى)

كتاب الأدب باب اللعب بالبنات 283/4 ح 4932

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 2129/5 ح 3265

(3) شرح السنة للبغوي 134/1

وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ النَّارُكَ لِلْجَمَاعَةِ⁽¹⁾. ولقوله تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}⁽²⁾. قال ابن كثير⁽³⁾: هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ لِمَنْ تَعَاطَى هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، الَّذِي هُوَ مَقْرُونٌ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}⁽⁴⁾ وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} إِلَى أَنْ قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}⁽⁵⁾.

وعن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»⁽⁶⁾.

قال النووي p: مَعْنَى تَوَاجَعَهَا أَيْ ضَرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ أَيْ ذَاتَهُ وَجُمْلَتُهُ، وَأَمَّا كَوْنُ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَنْ لَا تَأْوِيلَ لَهُ وَيَكُونُ قِتَالُهُمَا عَصَبِيَّةً وَخَوَهَا، ثُمَّ كَوْنُهُ فِي النَّارِ مَعْنَاهُ مُسْتَحَقٌّ لَهَا، وَقَدْ يُجَازَى بِذَلِكَ وَقَدْ يَغْفُو اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ⁽⁷⁾.

(1) رواه البخارى فى كتاب الديات باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ...} 5/9 ح 6878

(2) سورة النساء الآية 93

(3) تفسير ابن كثير 376/2

(4) سورة الْفُرْقَانِ الآية 68

(5) سورة الأنعام الآية 151

(6) رواه البخارى فى كتاب الإيمان باب {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات 9]

15/1 ومسلم فى كتاب الفتن وأشراف الساعة باب إِذَا تَوَاجَعَا الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا 2213/4

(7) شرح النووى على مسلم 11/18

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»⁽¹⁾. قال العيني: (الفُسْحَةُ) بَضْمُ الْفَاءِ وَسُكُونُ السِّينِ الْمُهِمْلَةِ وَحَاءٌ مُهِمْلَةٌ أَى فِي سَعَةٍ مَنْشَرِحِ الصَّدْرِ، وَإِذَا قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقِّ صَارَ مَنْحَصِرًا ضَيْقًا لَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ مَا لَمْ يُوْعَدَ عَلَى غَيْرِهِ⁽²⁾. والخلاصة أن جميع أسباب الهلاك يُنْهَى الإنسان أن يفعلها، سواء أكان جادًا أم هازلًا.

ما يستفاد من الحديث:

- 1- في هذا الحديث: سُدُّ الدَّرَائِعِ بِالنَّهْيِ عَمَّا يُفْضَى إِلَى الْمَحْظُورِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَاتِهِ مَحْظُورًا.
- 2- وفيه: بَيَانٌ لِعِظَمِ ذَنْبِ قَتْلِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ.. وأنه من الكبائر التي توعده الله تعالى عليها بالعقاب الشديد.
- 3- وفيه تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيْعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضُ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ.
- 4- النهي حَمْلُ السِّلَاحِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِهِمْ بِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَخْوِيفِهِمْ وَإِدْخَالِ الرُّعْبِ عَلَيْهِمْ.
- 5- التَّهْيِ عَنْ الْمُلَاعَبَةِ بِالسِّلَاحِ، فَلَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ بَيْنَ الْمُتَلَاعِبِينَ فَيَصِيرُ الْهَزْلُ جَدًّا وَاللَّعَابُ حَرْبًا، فَيَضْرِبُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَيَقْتُلُهُ فَيَدْخُلُ النَّارَ بِقَتْلِهِ.
- 6- وفي الحديث: كراهة تناول السيف وهو مسلول؛ لأن المتناول قد يخطئ في تناوله، فيخرج يده أو شيئًا من جسده فيتأذى بذلك ويحصل الفساد. وفي معنى السيف السكين فلا يرميها والحد من جهته، والأدب في تناولها أَنْ يُمْسِكَ النِّصْلَ الْمَحْدُودَ فِي يَدِهِ مِنْ جِهَةِ قِفَاهِ، وَيَجْعَلُ الْمَقْبُضَ إِلَى جِهَتِهِ لِيَتَنَاوَلَهَا بِالنِّصَالِ.

(1) رواه البخارى فى كتاب الديات باب قَوْلِهِ تَعَالَى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} 2/9 ح 6862

(2) عمدة القارى 31/24

7- مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ كَسِيبٍ وَخَنْجَرٍ وَسَيْفٍ وَرُمَحٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ السِّلَاحِ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، تَدْعُو عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْجَنَّةِ أَوَّلَ الْأَمْرِ أَوْ عَنِ الرَّحْمَةِ الْكَامِلَةِ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَى وَإِنْ هَازِلًا.

8- كان النبي ﷺ يمازح أصحابه، لكنه يمزح ولا يقول إلا حقًا، من غير أن يدخل على أحد منهم همًا ولا خوفًا ولا حزنًا.
والله أعلم.

الحديث السادس

فَضْلُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي⁽¹⁾.

الراوي الأعلى للحديث:

الصحابي الجليل: أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سبقت ترجمته في الحديث الثاني.

معاني المفردات واللغويات:

قوله ﷺ (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي) قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا أَصَافَ الْمَرَضَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْمُرَادُ الْعَبْدُ، تَشْرِيفًا لِلْعَبْدِ وَتَقْرِيبًا لَهُ⁽²⁾.

(فَلَمْ تَعُدَّهُ) أى لم تزره. وسميت زيارة المريض عيادة؛ لما فيها من التكرار والعود

غالبًا.

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل عيادة المريض 1990/4 ح 43

(2) شرح النووي على مسلم 126/16

(يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) استفهام حقيقي أو تعجبي لاستحالة المرض عليه ﷺ. أى كيف تمرض حتى أعودك (وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) والرَّبُّ: المالك والسيد والمدير والمربي والمنعم، وهذه الأوصاف تنافى المرض والنقصان والاحتياج والهلاك. قال ابن الأثير: الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ، وَالسَّيِّدِ، وَالْمُدَبِّرِ، وَالْمُرَبِّي، وَالْقَيِّمِ، وَالْمُنْعِمِ، وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أُضِيفَ، فَيَقَالُ رَبُّ كَذَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ⁽¹⁾.

(أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي، دخل على نفي "ما" ونفى النفي إثبات. أى علمت، ويحتمل أن يكون الاستفهام تقريراً، أى حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي، ولفظ "فلانا" كناية عن الاسم الحقيقي للمريض الذى يُذكر آنذاك⁽²⁾.

(لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟) أى وجدت ثوابي وكرامتي في عيادته.

(اسْتَطَعْتُكَ) السين والتاء للطلب أى طلبت منك الطعام.

(اسْتَسْقَيْتُكَ) أى طلبت منك الماء.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر 179/2 ولسان العرب 399/1

(2) فتح المنعم شرح صحيح مسلم أ.د/ موسى شاهين لاشين 33/10

المعنى العام للحديث:

عيادة المريض من الحقوق المؤكدة للمسلم على أخيه المسلم، وهى من الآداب الرفيعة التى حث الإسلام عليها، وفى عيادة المريض يشعر المريض عند مرضه بروح الأخوة الإسلامية، فيكون ذلك سبباً فى تخفيف آلامه وأحزانه، وتعوضه بعض ما حُرّمه من القوة والصحة. وكما قيل: الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

والله ﷻ يعاتب يوم القيامة كل من قصر فى حق من حقوق أخيه المسلم، حينما علم العبد أن أخاه المسلم مريضاً فلم يبادر إلى زيارته وتفقد حاله والتخفيف من آلامه، فقد فاتته أجر عظيم؛ لأن كرامة الله ﷻ ورحمته كانت عند هذا المريض؛ ولأن المرض هو أحد مظاهر الضعف البشرى فمهما كان نوع المرض قويا أو ضعيفا فإن النفس البشرية تنكسر وترضخ أمامه، عندئذٍ يحتاج الإنسان إلى الرعاية والزيارة حتى يستنس بمن يزوره، فزيارة المريض لها أثر بالغ فى زيارة هذا المريض وتظل آثارها راسخة فى نفسه.

ثم يعاتب الله ﷻ عبده يوم القيامة على تقصيره فى حق من طلب منه طعاماً أو شرباً لأن الذى يطلب الطعام أو الشراب لا يسأل إلا عن حاجه من الفاقة والظمأ، ولو أطعمه أو سقاه لو جد ثواب ذلك عند الله ﷻ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَنَّتْ فِي النَّاسِ لَانْظَرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفَتْ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»⁽¹⁾.

(1) رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرفائق والورع 652/4 ح 2485 وقال: هذا حديث صحيح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ" (1).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَقَى، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» (2).

الشرح والتفصيل:

(إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى معاتباً كل عبد قصر في عيادة أخاه المريض، خطاب معاتب لا مناقشة ومعاقبة، وقد تكون تلك المخاطبة وهذا القول عن طريق الوحي أو الإلهام أو عن طريق ملك.

قال القارى: عَلَى لِسَانِ مَلَكٍ أَوْ بِلاَ وَاسِطَةٍ بِالْوَحْيِ الْعَامِّ، أَوْ بِالْإِلْهَامِ فِي قُلُوبِ الْأَنْعَامِ، أَوْ بِلِسَانِ الْحَالِ مُعَاتِبًا لِابْنِ آدَمَ فِي تِلْكَ الْأَحْوَالِ بِمَا قَصَرَ فِي حَقِّ أَوْلِيَائِهِ بِالْأَفْضَالِ (3).

(يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي) أى بفتح المثناة الفوقية وضم العين وسكون الدال، أى مرض عبدي الكامل الشديد القرب منى قرب مكانة، إذ إسناد وصف

(1) رواه البخارى فى كتاب المساقاة باب فضل سقى الماء 112/3 و 113 ح 2369

(2) رواه البخارى فى كتاب المساقاة باب فضل سقى الماء 111/3 و 112 ح 2363 ومسلم فى كتاب

الآداب باب فضل ساقى البهائم الْمُخْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا 1761/4 ح 153

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1123/3

العبد له تعالى دليل على ذلك⁽¹⁾. والمرض: هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به⁽²⁾.

(فَلَمْ تَعْدِنِي) من العبادة قال ابن الأثير: وكلُّ مَنْ أَتَاكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَهُوَ عَائِدٌ، وَإِنْ اشْتَهَرَ ذَلِكَ فِي عِبَادَةِ الْمَرِيضِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ مُحْتَصٌّ بِهِ⁽³⁾. وقال الحموي: عُدْتُ الْمَرِيضَ عِبَادَةً زُرْتُهُ فَالرَّجُلُ عَائِدٌ وَجَمَعُهُ عَوَادٌ وَالْمَرْأَةُ عَائِدَةٌ وَجَمَعُهَا عَوْدٌ بِغَيْرِ أَلْفٍ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ هَكَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ⁽⁴⁾.

وقال ابن منظور: وَقَوْمٌ عَوَادٌ وَعَوْدٌ؛ الْأَخِيرَةُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ؛ وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ بِالْمَصْدَرِ. وَنِسْوَةٌ عَوَائِدُ وَعَوْدٌ: وَهِنَّ اللَّاتِي يَعْدُنَ الْمَرِيضَ، الْوَاحِدَةُ عَائِدَةٌ. قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ هَؤُلَاءِ عَوْدٌ فَلَانٍ وَعَوَادُهُ مِثْلُ زَوْرِهِ وَزَوَارِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَعُودُونَهُ إِذَا اعْتَلَّ. وَفِي حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: فَإِنَّمَا امْرَأَةٌ يَكْثُرُ عَوَادُهَا أَى زَوَارُهَا. وَكُلُّ مَنْ أَتَاكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَهُوَ عَائِدٌ، وَإِنْ اشْتَهَرَ ذَلِكَ فِي عِبَادَةِ الْمَرِيضِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ مُحْتَصٌّ بِهِ⁽⁵⁾.

إشكال والجواب عنه:

فإن قيل: كيف نُسب المرض لله ﷻ والمرض عجز وضعف، والعجز والضعف محال على الله تعالى؟

والجواب عن ذلك: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَضَافَ الْمَرَضَ لِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ عِبْدَهُ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ، وَهُوَ أَسْلُوبٌ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، فَالسَّيِّدُ قَدْ يَنْزِلُ نَفْسَهُ مَنْزِلَةَ عِبْدِهِ لِيَشْرَفَهُ وَيَبَالِغَ فِي إِكْرَامِهِ.

(1) مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 217/5

(2) التعريفات للجرجاني 211/1

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر 436/2

(4) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير 436/2

(5) لسان العرب 319/3

قال أبو بكر بن فورك: وأما قوله "مرضت" فقد فسرهُ النَّبِيُّ ﷺ وَبَيْنَ مَعْنَى ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى مَرَضٍ وَلِيهِ فَأُضَافَ إِلَى نَفْسِهِ إِكْرَامًا لَوْلِيَّتِهِ وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مُعْتَادَةٌ فِي الْخُطَابِ عَرَبِيَّةٌ وَعَجْمِيَّةٌ وَذَلِكَ أَنَّ يَخْبِرُ السَّيِّدَ عَنْ نَفْسِهِ وَيُرِيدُ عَبْدُهُ إِكْرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ تَوْهَمٌ مِنْ جَلَالَتِهِ وَعَظَمُ مَنْزِلَتِهِ مَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْجَلَالَةِ.

وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وَقَوْلُهُ {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وَقَوْلُهُ {إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرِكُمْ} وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى مِنَ الْإِلَهِيِّ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا نَفْسَهُ وَأَرَادَ أَوْلِيَاءَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ، وَعَلَى مِثْلِهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} أَيْ آسَفُوا أَوْلِيَاءَنَا وَأَغَضِبُوا أَنْبِيََاءَنَا وَالنَّاصِرِينَ لِدِينِنَا وَلَمْ يَكُنْ كَانَ عَلَيْهِ مُقِيمًا؛ لَاسْتِحَالَةِ أَنْ يُغَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْ يُؤْذَى وَيُجَارَبَ⁽¹⁾.
وقال ابن الجوزي: معناه أى مرض عبدى، وهذا من باب الكرم فى الجزاء ومقابلة الشيء بأفضل منه، كقوله تعالى: {فادكرونى أذكركم}⁽²⁾ وقوله سبحانه: (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى)⁽³⁾. وقال القارى: أَرَادَ بِهِ مَرَضَ عَبْدُهُ، وَإِنَّمَا أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لِذَلِكَ الْعَبْدِ، فَنَزَلَهُ مَنْزِلَةَ ذَاتِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ عَادَ مَرِيضًا لِلَّهِ فَكَأَنَّهُ زَارَ اللَّهَ⁽⁴⁾.

(قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) الاستفهام قد يكون على سبيل الحقيقة، وقد يكون على سبيل التعجب من العبد، إذ المرض يستحيل عليه سبحانه وتعالى، قال القارى p: حَالٌ مُقَرَّرَةٌ لِحُجَّةِ الْإِشْكَالِ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا. (كَيْفَ) أَى الْمَرَضُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمَرِيضِ الْعَاجِزِ، وَأَنْتَ الْقَاهِرُ الْقَوَى الْمَالِكُ.

(1) مشكل الحديث وبيانه 1/ 151 و152

(2) سورة البقرة من الآية 152

(3) كشف المشكل من حديث الصحيحين 578/3

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1123/3

فَإِنْ قِيلَ: الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: كَيْفَ تَمَرُّضُ مَكَانَ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟! قُلْنَا: عَدَلَ عَنْهُ مُعْتَذِرًا إِلَى مَا عُوتِبَ عَلَيْهِ. وَهُوَ مُسْتَلَزِمٌ لِنَفْيِ الْمَرَضِ (1).

(قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدَّتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟) أَى: قد علمت بمرض عبدى فلانًا ولم تعده، والاستفهام إنكارى بمعنى النفى دخل على نفى "ما" ونفى النفى إثبات أى علمت، ويحتمل أن يكون تقريرياً، أى حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفى (2).

(لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟) أى وجدت ثوابى وكرامتى ورحمتى؛ لأن الله ﷻ لا يحويه مكان ولا ينحصر وجوده فى حيز معين، لأنه خالق المكان والزمان، ولو انحصر وجوده فى مكان لكان محتاجاً لهذا المكان، ولكان حادثاً، والحدوث محال عليه سبحانه وتعالى. قال أبو بكر بن فورك p: مَعْنَاهُ أَى وَجَدْتَ رَحْمَتِي وَفَضْلِي وَثَوَابِي وَكَرَامَتِي فِي عِيَادَتِكَ لَهُ وَهَذَا أَيْضاً كَالْأَوَّلِ فِي بَابِ أَنَّهُ ذَكَرَ الشَّيْءَ بِاسْمِهِ وَأَرِيدَ غَيْرَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} {وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ} وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مُعْتَادَةٌ غَيْرُ مُسْتَكْرَرَةٍ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَحْمِلَ الْحَبَرَ عَلَيْهِ. وَعَلَى مِثْلِهِ يَتَأَوَّلُ قَوْلُهُ ﷻ {وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ} عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ وَجَدَ عِقَابَهُ وَحَسَابَهُ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَضْيَفَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ وَالْمُرَادُ فَعَلَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي بَيْنَاهُ وَنَظَائِرُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

ومثاله أَيْضاً قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَحَدٍ: "هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ" أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3). وَمَعْنَى ذَلِكَ أَهْلُهُ، أَى يَحِبُّ السَّاكِنُونَ بِفَنَائِهِ وَالْمَقِيمُونَ فِي سَاحَتِهِ وَنَحْبِهِمْ، وَإِذَا اخْتَمَلَ الْحَبَرَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْحُلُولُ فِي الْأَمَاكِينِ

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1123/3

(2) فتح المنعم شرح صحيح مسلم 33/10

(3) رواه البخارى فى كتاب المغازى باب أحد جبل يحبنا ونحبه 103/5 ح 4083

لاستحالة كونه محدودا ومتناهما؛ وَذَلِكَ لاستحالة كونه محدثا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَحْمُولًا عَلَى مَا قُلْنَا⁽¹⁾.

قلت: ولا مانع من حمل الخطاب على ظاهره بالنسبة لجبل أحد، فأحد وإن كان جبلاً أصمًا وجمادًا وصخرًا لكنه مُسَبَّحٌ كما قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}⁽²⁾. ولقوله تعالى {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا}⁽³⁾.

والكون كله يحب النبي ﷺ بما فيه من حيوان وجماد ونبات وغير ذلك، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ⁽⁴⁾.

قال ابن بطال p: فمحبتة للجبل توجب له بركة ترغب في مجاورته لها، وعلى هذا التأويل تكون محبتة للجبل ومحبة الجبل له حقيقة لا مجازًا بأن يحدث الله في الجبل محبة، ويكون ذلك من آيات نبوته⁽⁵⁾.

وقال المناوي p: هذا خرج مخرج التنبيه على شرف المؤمن والتعريف بحظوته عند ربه، وحث الخلق على المواصلة لذاته، والتجيب فيه والإحسان لوجهه، فأخبر المصطفى ﷺ عن ربه أن عيادة المؤمن لأخيه عيادة لله تعالى؛ من حيث إنها إنما فعلت لوجهه، فالجواز والاستعارة في كلامهم باب واسع⁽⁶⁾.

الفرق بين قوله تعالى (لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ) وبين قوله ﷺ (لَوْجَدْتُ ذَلِكَ عِنْدِي):

(1) مشكل الحديث وبيانه 152 / 1 و153

(2) سورة البقرة من الآية 74

(3) سورة الإسراء من الآية 44

(4) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسلیم الحجر عليه قبل النبوة 1782/4

(5) شرح صحيح البخارى لابن بطال 372/10

(6) فيض القدير 312/3 و313

جاء التعبير عند ذكر عيادة المريض بقوله ﷺ (لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ) وهو أعظم في الأجر والمثوبة؛ لشدة ما يجده المريض من انكسار القلب وضعف النفس وفقده لقوته، وانقطاعه عن الناس، والانكسار لله ﷻ من أفضل القربات، وقوله ﷺ (لوجدت ذلك عندي) أى وجدت ثواب الإطعام والإسقاء عندي وهو أقل درجة من عيادة المريض.

قال القارى p: وفيه إشارة إلى أَنَّ لِلْعَجْزِ وَالْإِنْكَسَارِ عِنْدَهُ تَعَالَى مِقْدَارًا وَاعْتِبَارًا، كَمَا رَوَى: أَنَا عِنْدَ الْمُتَكَسِّرَةِ فُلُوبُهُمْ لِأَجْلِي.

قَالَ الطَّبِيبُ: وَفِي الْعِبَارَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعِيَادَةَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ الْإِطْعَامِ وَالْإِسْقَاءِ الْآتِيَيْنِ، حَيْثُ خَصَّ الْأَوَّلَ بِقَوْلِهِ: وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ فَإِنَّ فِيهِ إِيْمَاءً إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْمُتَكَسِّرِ الْمُسْكِينِ⁽¹⁾.

وقال ابن القيم p: فَقَالَ فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ "لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ" وَقَالَ فِي الْإِطْعَامِ وَالْإِسْقَاءِ "لَوَجَدْتُ ذَلِكَ عِنْدِي" فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْمَرِيضَ مَكْسُورُ الْقَلْبِ وَلَوْ كَانَ مَنْ كَانَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكْسِرَهُ الْمَرَضُ فَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ بِالْمَرَضِ كَانَ اللَّهُ عِنْدَهُ.

وَهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- هُوَ السِّرُّ فِي اسْتِجَابَةِ دَعْوَةِ الثَّلَاثَةِ: الْمَظْلُومِ وَالْمُسَافِرِ وَالصَّائِمِ، لِلْكَسْرِ الَّتِي فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ غُرْبَةَ الْمُسَافِرِ وَكَسْرَتَهُ بِمَا يَجِدُهُ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ الصَّوْمُ فَإِنَّهُ يَكْسِرُ سُورَةَ النَّفْسِ السَّعْبِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَيُذِلُّهَا. وَالْقَصْدُ: أَنَّ شَمْعَةَ الْجَبْرِ وَالْفَضْلِ وَالْعَطَايَا إِنَّمَا تَنْزِلُ فِي شَمْعِدَانِ الْإِنْكَسَارِ، وَلِلْعَاصِي التَّائِبِ مِنْ ذَلِكَ أَوْفَرُ نَصِيبٍ⁽²⁾.

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1123/3

(2) مدارج السالكين 307/1

وقال المناوى p: قال فى العيادة "لوجدتنى عنده" وفى الإطعام وكذا السقى "لوجدت ذلك عندي" إرشادًا إلى أن الزيارة والعيادة أكثر ثوابا منهما. وقال السبكى رحمه الله: سر ذلك أن المريض لا يروح إلى أحد بل يأتى الناس إليه فناسب قوله لوجدتنى عنده بخلاف ذينك فإنهما قد يأتیان لغيرهما من الناس⁽¹⁾.

لماذا اعتنى الإسلام بعيادة المريض؟

حرص الإسلام على توثيق العلاقات بين أفراد المجتمع، ومن أفضل السبل لذلك إظهار الحب والمودة خاصة فى وقت المرض والضعف، فزيارة المريض تجبر خاطره وخطر أهله، وتترك أثرًا طيبًا فى نفسه، مع الدعاء له بالشفاء، مما يزيد فى الحب ويزيل الجفاء. وعيادة المريض فيها من عظيم المواساة، وتجاوب العواطف والمشاعر الإنسانية، ومشاركة المريض وجدانيًا، مما يجعل المريض يتأثر بهذه الزيارة تأثرًا نفسيًا عظيمًا يؤدي إلى تحسن صحته الجسمية، خاصة إذا كان الزائر من الذين يحبهم ويرتاح إليهم، ويأنس بزيارتهم.

قال ابن القيم: وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم، ولطفهم بهم، ومكاملتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التى تتعلق بهم. فَإِنَّ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَائِدِ: نَوْعٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَرِيضِ، وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى الْعَائِدِ، وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى أَهْلِ الْمَرِيضِ، وَنَوْعٌ يَعُودُ عَلَى الْعَامَّةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَدْيِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شَكْوَاهُ، وَكَيْفَ يَجِدُهُ وَيَسْأَلُهُ عَمَّا يَشْتَهِيهِ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَرُبَّمَا وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، وَيَدْعُو لَهُ وَيَصِفُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلَّتِهِ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَضُوئِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ

لِلْمَرِيضِ: (لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) وَهَذَا مِنْ كَمَالِ اللَّطْفِ، وَحُسْنِ الْعِلَاجِ وَالتَّدْبِيرِ⁽¹⁾.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: كُنَّا نَقْعُدُ فِي الْمَجْلِسِ، فَإِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلْنَا عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عُذَّنَاهُ.

فضل عيادة المريض

أولاً: عائد المريض في معية الله ﷻ: فقد جاء في الحديث (أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُذَّتْهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟) قَالَ النَّوَوِيُّ p: وَمَعْنَى وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ أَيْ وَجَدْتَنِي ثَوَابِي وَكَرَامَتِي، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي تَمَامِ الْحَدِيثِ: "لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَنِي ذَلِكَ عِنْدِي، لَوْ أَسْقَيْتَهُ لَوَجَدْتَنِي ذَلِكَ عِنْدِي" أَيْ ثَوَابَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽²⁾.

ثانياً: أن عائد المريض تُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَتَسْتَغْفِرَ لَهُ، عَنْ ثَوْبِرٍ هُوَ ابْنُ أَبِي فَاخِتَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، قَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُوذُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعَانِدَا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا بَلْ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا عُذْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»⁽³⁾.

ثالثاً: نزول الرحمة والمغفرة على عائد المريض، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غُمِرَ فِيهَا⁽⁴⁾.

(1) زاد المعاد في هدى خير العباد 107/4

(2) شرح النووي على مسلم 126/16

(3) رواه الترمذی في كتاب الجنائز باب ما جاء في عيادة المريض 291/3 وقال: حديث حسن غريب.

(4) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الجنائز باب ذَكَرُ خَوْضِ عَائِدِ الْمَرِيضِ الرَّحْمَةَ فِي طَرِيقِهِ وَاعْتِمَارِهِ فِيهَا عِنْدَ قُعُودِهِ عِنْدَهُ 222/7 والحاكم في المستدرک کتاب الجنائز وقال: صحيح على شرط مسلم.

رابعاً: جعل الله ﷻ ثواب العائد للمريض سعادة ورضا، فهو في ممشاه إلى المريض يمشى في رياض الجنة، ويتبوا منها منزلاً، عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»⁽¹⁾.
و(مَحْرَفَةُ الْجَنَّةِ) أى كأنه يمشى يلتقط من فواكه الجنة. والمَحْرَفَةُ: هى سكة بين صفيين من نخل يخترف من أيهما شاء أى يجتنى، وقيل المَحْرَفَةُ: الطريق أى أنه على طريق تؤديه إلى الجنة.

قال ابن الجوزى: شبه ﷺ ما يحوزه العائد من الثَّوَابِ بما يحوزه مخترف الثَّمَرَةِ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: عَائِدِ الْمَرِيضِ فِي بَسَاتِينِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَحَقَّهَا بِالْعِبَادَةِ، فَهُوَ صَائِرٌ إِلَيْهَا. قَالَ: وَلَوْ جَعَلْتَ الْمَخْرَفَةَ هَاهُنَا مِنْ مَخْرَفَةِ النِّعَمِ وَهُوَ الطَّرِيقُ لَكَانَ وَجْهًا حَسَنًا، كَأَنَّهُ قَالَ: عَائِدِ الْمَرِيضِ عَلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ عِيَادَتَهُ تُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ⁽²⁾.
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مِمَّا شَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»⁽³⁾.

خامساً: إن زيارة المريض من حق المسلم على أخيه المسلم وقد بين النبي ﷺ تلك الحقوق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ،

(1) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض 1989/4 ح 39

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين 217/4

(3) رواه الترمذى في كتاب البر والصلة باب ما جاء في زيارة الإخوان 365/4 وقال: حسن. وابن ماجه في كتاب الجنائز باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً 464/1 قال ابن حجر في الفتح: وَوَرَدَ فِي فَضْلِ الزِّيَارَةِ أَحَادِيثٌ مِنْهَا عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَحَسَنُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: طِبْتَ وَطَابَ مِمَّا شَاكَ، وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا" وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الْبَزَّازِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ. وَعِنْدَ مَالِكٍ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مَرْفُوعًا: "حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِي" الْحَدِيثِ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ. وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَفَعَهُ: "مَنْ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ خَاصًّا فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَرْجِعَ". فتح البارى 500/10

وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمَّيْتُهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»⁽¹⁾.

من آداب زيارة المريض:

ذكر أهل العلم عدة آداب لا بد أن يراعيها المسلم عند عيادة المريض منها:
أولاً: اختيار الوقت المناسب: فلا بد أن تكون الزيارة في وقت لا يسبب ضيقاً ولا حرجاً للمريض فلا يكون في وقت نومه أو طعامه.

ثانياً: سؤال المريض عن حاله مما يشعره باهتمام من حوله بأمره وانشغالهم به،
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحَلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْحَنْدَقِ فَتَقُلُّ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفِيدَةٌ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجُرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: «كَيْفَ أُمْسَيْتَ؟»، وَإِذَا أَصْبَحَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» فَيُخْبِرُهُ⁽²⁾.

ثالثاً: رقية المريض والدعاء له بالشفاء، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَرِيضِ قَالَ: أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، اشْفِ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا. وَقَدْ قَالَ حَمَّادٌ: "لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"⁽³⁾.

رابعاً: عدم إطالة الزيارة لما في ذلك من الإثقال على المريض وعلى أهله، فالمريض يحتاج إلى الراحة والنوم، وهذا مخالف لهدى النبي ﷺ في عيادة المريض بل في الزيارة عموماً.

(1) رواه البخارى في كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز 71/2 ح 12240 ومسلم في كتاب الآداب باب من حق المسلم للمسلم رد السلام 1705/4 ح 5

(2) رواه البخارى في الأدب المفرد باب كيف أصبحت؟ 632/1 ح 1129

(3) رواه أحمد في مسنده 326/21 وأبو يعلى في مسنده 466/6 وقال البغوى: مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُحَمَّدٌ عَنْ مُسَدَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَنَسٍ. وَأَخْرَجَاهُ جَمِيعًا مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ. شرح السنة للبغوى كتاب الجنائز باب ما يَقُولُ الْعَائِدُ لِلْمَرِيضِ مِنْ قَوْلِ الْحَبِيرِ، وَالْدُّعَاءُ، وَالرُّقِيَّةُ 224/5

وقد جمع الحافظ ابن حجر p آداب زيارة المريض فقال: الأَدَبُ فِي الْعِيَادَةِ أَنْ لَا يُطِيلَ الْعَائِدُ عِنْدَ الْمَرِيضِ حَتَّى يُضْجِرَهُ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّمُ عِنْدَهُ بِمَا يُزْعِجُهُ، وَجُمْلَةُ آدَابِ الْعِيَادَةِ عَشْرَةُ أَشْيَاءَ، وَمِنْهَا مَا لَا يَخْتَصُّ بِالْعِيَادَةِ: أَنْ لَا يُقَابِلَ الْبَابَ عِنْدَ الْإِسْتِثْدَانِ، وَأَنْ يَدُقَّ الْبَابَ بِرَفْقٍ، وَأَنْ لَا يَنْهَمَ نَفْسَهُ كَأَنْ يَقُولَ أَنَا، وَأَنْ لَا يَحْضُرَ فِي وَقْتٍ يَكُونُ غَيْرَ لَائِقٍ بِالْعِيَادَةِ؛ كَوَقْتِ شُرْبِ الْمَرِيضِ الدَّوَاءِ، وَأَنْ يُخَفِّفَ الْجُلُوسَ، وَأَنْ يَغُضَّ الْبَصَرَ، وَيُقَلِّلَ السُّؤَالَ، وَأَنْ يُظْهِرَ الرِّقَّةَ، وَأَنْ يُخْلِصَ الدُّعَاءَ، وَأَنْ يُوسِّعَ لِلْمَرِيضِ فِي الْأَمَلِ، وَيُشِيرَ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ لِمَا فِيهِ مِنْ جَزِيلِ الْأَجْرِ، وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْجَزَعِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوُزْرِ⁽¹⁾.

حُكْمُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ:

اختلف العلماء في حكم عيادة المريض بين الوجوب وفرض الكفاية والندب، وقد رجع البخارى p الوجوب وحمل الأمر عليه فقال: "بَابُ وَجُوبِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ" قال الحافظ ابن حجر p: كَذَا جَزَمَ بِالْوُجُوبِ عَلَى ظَاهِرِ الْأَمْرِ بِالْعِيَادَةِ، وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْجَنَائِزِ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ" فَذَكَرَ مِنْهَا عِيَادَةَ الْمَرِيضِ. وَوَقَعَ فِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ: "خَمْسٌ تَحِبُّ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ" فَذَكَرَهَا، مِنْهَا قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى الْوُجُوبِ بِمَعْنَى الْكِفَايَةِ، كِطَاعِ الْجَائِعِ، وَفَلَكِ الْأَسِيرِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّدْبِ، لِلْحَثِّ عَلَى التَّوَاصُلِ وَالْأُلْفَةِ. وَجَزَمَ الدَّوْدِيُّ بِالْأَوَّلِ فَقَالَ: هِيَ فَرَضٌ يَحْمِلُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ بَعْضٍ.

وَقَالَ الْجُمْهُورُ: هِيَ فِي الْأَصْلِ نَدْبٌ، وَقَدْ تَصَلَّى إِلَى الْوُجُوبِ فِي حَقِّ بَعْضِ دُونَ بَعْضٍ. وَعَنِ الطَّبْرِيِّ: تَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ مَنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ، وَتُسَنُّ فِي مَنْ يُرَاعَى حَالُهُ، وَتُبَاحُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ.

(1) فتح البارى لابن حجر 126/10

عبادة الكافر والذمي:

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِنَّمَا تُشْرَعُ عِبَادَتُهُ إِذَا رُجِيَ أَنْ يُجِيبَ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَطْمَعْ فِي ذَلِكَ فَلَا. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ، فَقَدْ يَقَعُ بِعِبَادَتِهِ مَصْلَحَةٌ أُخْرَى. وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: عِبَادَةُ الذَّمِّي جَائِزَةٌ، وَالْقُرْبَةُ مَوْفُوفَةٌ عَلَى نَوْعِ حُرْمَةٍ تَقْتَرِنُ بِهَا مِنْ جَوَارٍ أَوْ قَرَابَةٍ⁽¹⁾.

قوله (يَا ابْنَ آدَمَ؛ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي) أى طلبت منك الطعام فلم تطعمني (قَالَ: يَا رَبِّ؛ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) قال المناوي: أى كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَالْإِطْعَامُ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الضَّعِيفُ الَّذِي يَتَّقُوهُ بِهِ فَيَقِيمُ بِهِ صِلَاهُ وَيَصْلَحُ عَجْزُهُ (قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَا؟ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟) قَالَ فِي الْعِبَادَةِ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ وَفِي الْإِطْعَامِ وَالسَّقْيِ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي رَمَا إِلَى أَكْثَرِيَةِ ثَوَابِ الْعِبَادَةِ (قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟!) أى كَيْفَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الشَّرْبِ الْعَاجِزُ الْمُحْتَاجُ لِتَعْدِيلِ أَرْكَانِهِ وَطَبِيعَتِهِ (قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَا؟ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي) أى ثَوَابِهِ⁽²⁾.

ما يستفاد من الحديث:

- 1- عيادة المريض من الحقوق المؤكدة للمسلم على أخيه المسلم، وهي من الآداب الرفيعة التي حث الإسلام عليها، وفي عيادة المريض يشعر المريض عند مرضه بروح الأخوة الإسلامية، فيكون ذلك سبباً في تخفيف آلامه وأحزانه.
- 2- أن المريض وهو في حال الإنكسار والضعف يكون في معية الله ﷻ وفي قرب منه.

(1) فتح الباري لابن حجر 112/10 و119 وشرح صحيح البخاري لابن بطال 357/9

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير 277/1

3- يعاتب الله تعالى يوم القيامة كل مقصر في حق أخيه المسلم فهو العالم سبحانه بالجزئيات والكلديات ولا تخفى عليه خافية.

4- فضل إطعام الطعام وسقيا الماء للمحتاج وما يجده من ثواب ذلك عند الله ﷻ يوم القيامة.

5- لزيارة المريض ينبغي مراعاتها كحسن اختيار الوقت المناسب للزيارة وعدم الإطالة فيها وأن يدعو للمريض بالشفاء، وأن يذكره بالصبر على البلاء.

6- أن عيادة المريض أكثر ثواباً من الإطعام والإسقاء، حيثُ خصَّ الأوَّلَ بقوله: "وَجَدْتَنِي عِنْدَهُ" فَإِنَّ فِيهِ إِمَاءً إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْمُتَكَسِّرِ الْمِسْكِينِ.

والحمد لله رب العالمين

كان الفراغ منه ليلة السابع والعشرين من شهر رجب 1442هـ الموافق 10 مارس 2021 م.

خادم السنة المطهرة

أحمد بدوى مازن

محتويات الجزء الأول من كتاب

فَتْحُ الْوَهَّابِ

فِي أَحَادِيثِ الْإِثْرِ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ

5	 المقدمة
11	 التمهيد
13	 مَعْرِفَةُ آدَابِ طَالِبِ الْحَدِيثِ
16	 مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُحَدِّثِ
19	 الحديث الأول: النَّهْيُ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا
19	 ترجمة الصحابي الجليل عُمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ؓ
39	 الحديث الثاني: الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ
39	 ترجمة الصحابي الجليل أبي هريرة ؓ
57	 الحديث الثالث: فَضْلُ الرَّفْقِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَانَةِ
57	 ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
75	 الحديث الرابع: فَضْلُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ
92	 الحديث الخامس: النَّهْيُ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسَّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ
106	 الحديث السادس: فَضْلُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ
122	 محتويات الجزء الأول